الجزء السابع والثامن ١٠٠١ / ٢٣٧ المجلد العشرون



تموز وآب سنة ١٩٤٥ شهر رجب وشعبان سنة ١٣٦٤

القول في حقوق المرأة (١)

هيأ الخديوي اسمعيل أسباب النهضة النسائية بأن تقدم امراء الشرق العربي بإنشاء مدارس لتعليم البنات في مصر . وجاء بعد زمن محرر المرأة قاسم امين فسقط على كتلة معلمة من النساء المصريات تفهم عنه ما يرمي اليه يوم دعا إلى ما دعا ، وأسفر هذا الانتباه عن إنشاء جمعيات تُعنى بتعليم الأطفال ومؤاساة البائسين والمرضى ، والنظر في مستقبل المرأة نظر من يحسن معرفة الداء ووصف الدواء . وحذت الشام حذو مصر في هذه السبيل فبدأت المرأة تتعلم ، وسبق المسيحيات إلى هذه المقاصد النبيلة ثم كثر عدد المتعلمات من المسلمات فجئن يسابقن من كان لهن فضل التقدم في هذا الباب ، وما انقضى جيل حتى كان العاملات في الجيل التالي يحاولن التعرف بعضهن إلى بعض ، فيعقدن المؤتمرات في مصر والشام ينظرن فيما يرفع من شأنهن وينيلهن حقوقهن ، وأهم مؤتمر لهن عقدنه هذا العام في مدينة القاهرة اشترك فيه نساء الشام والعراق مع نساء مصر وانفض عن قرارات منها النافع المسلم به لإصلاح شأن المرأة ، ومنها ما يضر بها لأنه يخرجها عن طورها ويأتي على جميل خصائصها .

ومن القرارات الصادرة عن هذا المؤتمر ان يصبح النساء ناخبات منتخبات ، يقعدن في مقاعد مجالس النواب ، ويكون منهن الوزيرات والسفيرات والقاضيات ، وكل ما يتولاه الرجال من سياسة الممالك وتدبير الجماهير ، ويستلزم أعصاباً هادئة وشجاعة وقوة ، لم تتصف بها المرأة على غابر الدهر . أردن ان يعاملن على قدم المساواة مع الرجال حذو القذة بالقذه وطلبن مطالب يتعذر تحقيقها ولا تفيد إذا فرض تنفيذها .

(١) محاضرة أُلقيت في المجمع العلمي العربي .

وكانت الجمعية النسائية المصرية الأولى قبل تأليف الاتحاد النسائي في مصر طلبت من حكومتها الحدّ من الطلاق ومن تعدد الزوجات وتعيين سن زواج الفتاة والفتى فصدر القانون على هذا وسجلت به للنساء اللائي سعين لذلك مأثرة وقع الاجماع على استحسانها ، وأثبت النساء أنهن أخذن يفكرن فيما لم يكن جداتهن يفكرن في شيء منه ، وانه اتسع أفقهن للنظر في ما يرفع مستوى بنات جنسهن ٠

ولم يوفق الغربيون في إخراج المرأة من حظيرة البيت إلى المعمل والحانوت لتكاثرَ الرجال ، وقام في العهد الأخير بعض المذاهب في اميركا وانكلترا والمانيا ينكر المغالاة في الاختلاط ويحرم الرقص والتبذل في اللباس ، ابقاءً على عصمة المرأة وصوناً لها عن التدهور في مزالق الفتنة ٠

ثم ان الدول التي منحت المرأة حق الانتخاب لم تأت اكثر من إرضاء فريق من المطالبات بهذا الحق الموهوم الذي ما زاد من مكانة المرأة ، وظل الرجال اصحاب الموقف ، ولم يوفق النساء إلا إلى منحهن ما الحين بطلبه من الحقوق اعواماً ٠ فالمرأة التي ظفرت بحق الانتخاب لم تقدم بلادها خطوة إلى الأمام وما دفع حنانها ما حلّ بأهلها من البوائق ، وما استطاعت ابطال الحروب وفض مشاكل الأمم من دون الرجوع إلى السلاح ، ولو كان للمرأة صوت مسموع في سياسة البلاد التي أعطت نساءها حق الانتخاب لخففن من ويلات بلادهن ومنها القضاء على المسكرات التي ضجت من اضرارها شعوب تلك الأقطار ٠

المرأة امرأة وان البستها ثياب الرجال ووسدت اليها اعمالهم ومهما جهدت لا تحليها بخلق ليس فيها ، ولا تخلق فيها ميزات لم تتميز بها ٠ المرأة كما قالوا ريحانة وليست بقهرمانة ، لم تؤهلها طبيعتها لغير ولادة الأولاد والعناية بتربيتهم وخدمة زوجها والسهر على راحته ، وتولي الخطير والحقير من شؤون بيتها ٠ فروض جسيمة فرضت عليها لو احبت تجويدها لكلفتها ان تشتغل معظم ساعات نهارها وزُلَفاً من ليلها ٠ ومن كان عليها مثل هذه التبعة العظيمة كيف تقوى على تولي المصالح العامة فتقضي وتسوس وتشارك الرجال في شؤون اختصوا بها مذ كانت الدنيا ٠ والمرأة اليوم ان

احست من ضعفها قوة وقامت ببعض الأعمال الوطنية وتعلمت قليلاً بالقياس إلى أمها وجدتها ، فليس معنى هذا انها تصلح للشرطة والدرك والقضاء والادارة ، ولا ان تمارس ركوب الطائرات والغواصات ، وتقود الكتائب وتعبي الصفوف ٠

وسبيل النساء اليوم في الحرص على الحياة النيابية بدون تعليم سوادهن الأعظم على الأقل ، سبيل من يحاول بلوغ رأس السلم قبل تخطي درجاته الأولى او إنشاء بناء ضخم بدون وضع اساس الطابق السفلي ٠ قلت يوماً لأحد علماء الترك أما بلغك ان مدينتنا ستنار بعد قليل بالكهرباء وتسير فيهـا الحوافل الكهربائية كالعواصم الغربية ؟ فضحك وقال : ان حالكم بهذه الزينة الجديدة تقام بأيدي الغرباء اشبه بامبراطور كوريا يلبس على رأسه تاجاً من ذهب ، ولا سراويلات له تستر عورته ، وكان الأولى يا صاح ان تنظم طرق البلدة اولاً ثم تسير فيها الحوافل الكهربائية ٠ وانا اقول كان الأولى قبل ان تطلب المرأة حق التشريع في مجالس النواب ان تتلافى قصورها المخجل في ميدان العلم والتربية ٠

كان القائلون في الغرب بوضع المرأة حيث وضعتها الفطرة الى المعقول اكثر من اصحاب الرأي الذين صانعوها وندبوا معها حقها المهضوم ، ولو كان من وراء ما رأوا ثورة هوجاء لا تنجلي عن خير فقد دلت التجارب على ان القوانين الوضعية مها بلغ من احكامها لا تقوى على القوانين الطبيعية ٠ يزعم الفريق المتطرف ان العالم سيعمه الهناء والسعادة يوم تتم أمنيته في توجيه النساء وجهتهن الجديدة ٠ ويورد الفريق المعتدل في رد رأي المغالين حقائق ما وسع خصومهم إن ينقضوها نقضاً جيداً ، ويقول ان المرأة تمرض ايام شبابها و كهولتها كل شهر مرضاً تكثر به آلامها ويسوء خلقها وتمرض ايضاً ايام الوحام والنفاس برهة تقطعها عن مباشرة كل عمل ، ومن كانت هذه حالتهـا من الصحة أنى لها ان تقوم بأعباء عظيمة ولها من نفسها ما يشغلها عن كل شيء ٠

ويقول المتعقلون ان تركيب جسم المرأة مخالف لتركيب جسم الرجل وان المرأة لم تثبت الى الآن كفاية تؤهلها لمباراة الرجل في صراع الحياة فما قام من النساء

عالمة ممتازة ولا شاعرة كبيرة ولا كاتبة عظيمة ولا مخترعة ولا مكتشفة ولم يتعد ما تم على يدها الأمور البدائية إذا قيس بما أبدعه الرجال من بدائع العلم والأدب والفن والصناعة . فكما انه لم يخرج من صفوفهن العبقريات في هذه الفنون ، لم ينشأ منهن خياطة عظيمة ولا طاهية مبدعة وما زلنا نشهد هاتين الصناعتين المهمتين حكرة في أيدي الرجال ، بل ان الرجال يخترعون للنساء أزياءهن وأساليب زينتهن ، وإذا ادعى مدع ان من النساء من ألفن الكتب ومارسن الأدب فيقال له ان معظم ما عزي الى المرأة من التآليف هو من صنع الرجال ، وما نبغ في فرنسا على اشتهارها بالأدب وانتشار التعليم فيها بين الجنسين غير « مدام دي سيفينه » كتبت بقلمها رسائلها الى ابنتها فعدها العلماء من الأدب الممتع لما تحمل من عواطف عظيمة وما عدا ذلك فكتابات متوسطة وشعر غث .

وإذا زعم بعضهم ان حكومات النساء في بعض ممالك اوربا كانت أرقى من حكومات الرجال ، فذلك لأن حكومات النساء أدارها الرجال من وراء حجاب ، وعلى العكس في حكومات الرجال كثرت فوضاها في بعض الأدوار ، لأن النساء كن يدرنها في غفلة من الرجال .

لم يبرز النساء حتى اليوم في غير تربية الأطفال وقد أثبتن استعدادهن في طب الأمراض النسائية وفي الكيمياء العملية وكن آية في تمريض المرضى وإدارة المستشفيات لما في طبيعتهن من نعومة وصبر وأناة . والرجال لم يوفقوا إلى منافستهن في هذا الشأن ولا يرجى ان يوفقوا لتوقف ذلك على صفات اختص بها النساء دون الرجال .

الأنثى في حاجة شديدة إلى التعليم الابتدائي حاجة الصبي اليه ، على ان يكون تعليمها ملائماً لبيئتها وطبيعتها . لا تعفى من ذلك ابنة المدينة ولا ابنة القرية ، ويقتصر التعليم الثانوي والعالي كما هو الى الآن على فئة منهن لا يتجاوز عدد الآخذات به واحدة في البضعة آلاف إذ ثبت ان معظم من تعلمن التعليم العالي والأوسط ضعف استعدادهن لإدارة المنزل وتربية البنين والبنات ، فخرجن طوعاً أو كرهاً عن غرائزهن ، وفقدن بمظهرهن الجديد دعة البيوت ومتعة الزوجية . وكان من إخفاق النساء في المحاماة والطب دليل ظاهر على ضعفهن وقلة استعدادهن لما خص به الرجال .

تحتاج المرأة إلى إتقان أشغال البيت وهي كثيرة ، والى ان تقيد دخلها وخرجها وإلى أن تنشئ كتاباً بسيطاً الى زوجها وابنها وابنتها وأمها وحماتها وإلى ان تتعلم كل ما يزيد بهجة البيوت كتربية الأزهار والورد والأشجار والبقول وما يوفر لها جانباً من المصروف إذا أحسنت مزاولته كصنع الجبن والقشدة واللبن والسمن وغير ذلك من الصناعات الزراعية . وهي الى هذا تدخل السرور على زوجها وأولادها اذا غنتهم آونات الفراغ بنغمتها وأطربتهم بآلة موسيقية أتقنتها . وعليها ان تعرف ما لها وعليها من الحقوق ، وان تتأدب بأدب الدين وأدب الوطن ، أما حاجتها من الأمور الكمالية فمحدودة وهي في غنية عن ان تجهز بجهاز علمي واسع تتعلم أكثره بالعمل في مراحل حياتها ومنه ما هو اعلق بها من غيره ، والواجب على كل حال ان تكون المرأة قريبة من ذهنية زوجها تعينه على الكدح لها ولأولادها ولا يطيب عيش الزوجين الا بتكافؤهما في المنزلة والثقافة الأولى .

قلت ان العارفين من الغربيين يؤكدون انه لم ينبغ من النساء عندهم من كن من عيار من نبغ من الرجال في جميع مظاهر الحضارة ، والحال كان كذلك في الشرق الاسلامي اي كان النابغات ان صحت تسميتهن بذلك في فن الحديث وهذا يحتاج لحافظة ، وفي الشعر وهذا يحتاج الى عاطفة ، ومن هاتين الخاصتين رزقت المرأة قسطاً عظيماً . وقد شاركن في الموسيقى والغناء مشاركة ما تفوقن فيها على الرجال إلا أنه لم ينشأ منهن فقيهة ولا متكلمة ولا مؤرخة ولا فيلسوفة وكنّ إذا تدخلن في أمور الدولة تميل إلى الانحطاط ولذلك كان عقلاء الملوك يحظرون على نسائهم الاشتراك في ما لا شأن لهن فيه من أمور السياسة .

إن طمع النساء اليوم في إحراز الحقوق السياسية طمع في غير مطمع ، ذلك لأن طبيعتهن ما تبدلت ولن تتبدل ، وليت شعري ماذا يرجى من مجتمع أكثر من تسعين بالمئة من نسائه أميات لا يقرأن ولا يكتبن وإذا كانت نسبة المتعلمين من الرجال اكثر من النساء كيف يستفيد النساء من تشريع جديد يسنّ لإرضائهن فقط وإذا كانت فرنسا واهلها اهلها في تلقف العلم والمعارف وفي الفناء في تحسين

الظن بالنساء لم تقرر مساواة المرأة مع الرجل كيف يرجى الخير لهذا النوع من الحكم عندنا على حين لا يؤمل نزع الأمية من ديارنا قبل مضي قرن . وعجيب كيف نؤخذ بكلام ظاهر البطلان ، ونخدع بالتمويه ، ونفرح بالجديد ولو كان بديهي الضرر ، ولا نتعرف إلى ما بطن وظهر من مشاكلنا ولا إلى الأثر الفعال في نهضتنا .

وبعد فلماذا لم يقل لنا المنادون بإعطاء المرأة حقوقها المدنية على مثال الرجال كيف تمسي حال البيوت بعد انقلابهم الذي يتوقعونه . لا جرم أن الشقاء سيخيم على كل أسرة يشتغل رباتها خارج بيوتهن ، اللهم إلا إذا كان في النية ان يعمدوا إلى دفع أولادهم إلى الحكومات تربيهم تربية مشتركة كأنهم بعض اللقطاء من أولاد النغول لا يذوقون في هذه الملاجئ طعماً لهناءة البيوت ولا يرون أثراً للروابط الروحية بين الأولاد والأبوين .

وإذا كانت هذه البراهين لا تقنع المتحمسين والمتحمسات للدعوة إلى المساواة بين الجنسين فانا نورد بعض ما قاله المنصفون من الغربيين عسى ان يكون منه مقنع .

قال الدكتور روبرتوتش في كتابه رفعة المرأة : Dr. Robert Teutsch Le féminisme ما زالت مسألة إعطاء المرأة حقوقها منذ ثلاثين سنة من الموضوعات الطريفة ، ولو كان الأمر يقف عند حد اعطائها جميع حقوقها ولا سيما السياسية التي لم تهيئها لها طبيعتها ولا خلقها لهان الأمر ولكنهن يقصدن من المطالبة بذلك التفلت من قيودهن ولا سيما قيود البيت والأمومة ، تريد المرأة اسقاط منزلة الرجل وتطمح إلى الاستيلاء على كل عمل لم تخلق هي له . تحاول الابتعاد عن المنزل وإهمال شؤونه والاقلال من الأولاد والقضاء على الأسرة مما ينتهي بانقراض العنصر والجنس ، وبتأثير الاضطرابات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية التي ظهرت في القرن التاسع عشر في معظم البلاد الممدنة ولا سيما في فرنسا راجت دعاية المفرطين فكان من ذلك إخراج النساء عن طورهن وحملهن على ان يتناسين عملهن أو يستنكرنه ، فصبغت المرأة بصبغة بشعة عند ارادتها محاكاة الرجل ليكون منها شريكة مبغضة له أحياناً ومنافسة وخصيمة يخشى بأسها . وهناك نساء سطا عليهن

الكبر والحقد فاحتقرن الرجل والزوج والولد وهن قادرات على ان يكن طاهيات ووصيفات وساعورات (ممرضات) ودلاكات ومنظفات أيد Manucures ومنظفات أرجل Pédicures وحاسبات وخازنات وكاتبات ومدرسات وبائعات وسمسارات وقصصيات ومحاميات وطبيبات ، ويتوهمن انهن اسمى من الرجال أو مساويات لهم على الأقل ويحاولن ان يقمن مقامه في معاناة سامي الأعمال وهن لسن له خليقات ٠

وما برح دعاة تحرير المرأة ينادون صاخبين ان المرأة مساوية للرجل وما كان تشريح الجنسين ونفسيتهما وطبيعتهما متشابهة قط واذا كان الحال كما يدعون فلماذا نرى البقرة غير الثور والنعجة غير الخروف واللبوة غير الأسد ، ولماذا يتناسى دعاة هذا التحرير العمل العظيم الذي يؤثر في طبيعة المرأة وعقليتها وما كتب عليها من الحيض الذي يخرجها الى طور غريب وتؤثر ايامه في خلقها ، وبعض الصحيحات منهن او المريضات تعاودهن العادة مرتين في الشهر فيتأثر المجموع العصبي فيهن من هذه الموجات الدموية ٠

وقد ظهر من أبحاث العلماء في جميع الأمم ان الطبيعتين الأنوثة والذكورة متخالفتان لا في ظواهرهما فقط بل في أعمق تراكيبهما ، ويقول الأطباء ان كلاً من الفتى والفتاة ينشأ نشأة طبيعية متخالفة ، يكثر الموت والضعف في الصبيان ويتجلى الذكاء والاحساس والحكمة في الطفلة قبل تجليه في الطفل ، ولا تزال الفروق بينهما تتزايد من الثانية عشرة الى الرابعة عشرة ويبدو في الصبيان الاستعداد لتعلم الحساب والعلوم كما يبدو للفتيات بفضل خصوبة احساسهن جمالُ الانشاء ورقته بالقياس الى خشونة كتابة الصبيان وبعد اجتياز هذه السن الصعبة يطرد ارتقاء الصبيان أما الصبايا فيقفن فجأة مأخوذات بحالة جديدة ، وهي حالة المرأة ، وكثيرات فيهن من يتركن عندئذ كل عمل ٠ وادعى بعضهم ان ذكاءهن يضمحل في ذاك الدور ليقوم مقامه حس ينصرف الى الدّل والغزل والموسيقى والقراءة وأعمال الاحسان وكثيراً ما يصادف أحسن التلميذات في سن الخامسة عشرة الى السابعة عشرة ممن تأخر نموهن ٠ وبينا يكون البلوغ في الصبيّ داعياً الى توسع فكره وحاملاً له على الاضطلاع بالمسائل الكبرى فوق الطبيعة تشتغل المرأة بنفسها وتمشي مع احساسها ثم تعاني مشاكل الحب والأمومة خلافاً لما ادعته « مدام دي ستال » من ان الأرواح ليس لها جنس معين ٠

وقد قرر العلماء ان تشريح الجنسين متخالف كل التخالف فالقامة وثقل الجسم أقل في النساء منهما في الرجال بنحو الثلث ، وجماجم البنات أقل استعداداً للنمو وادمغتهن أقل وزناً حتى بالقياس الى الوزن العادي . وقرر العلماء ان حاسة الشم والذوق في النساء اقل مما هي في الرجال ، ولذلك قل ان استخدم ارباب المعامل النساء في الأعمال التي تتطلب التمييز بين الألوان والأذواق مثل التفريق بين اجناس الخمور واصناف الشاي ومراقبة الصوت واصلاح « البيان » قالت « مدام دي رموزا » ان الحس اكثر ملازمة لنا معاشر النساء من الملاحظة واستُنتج من هذا ان ذاكرة النساء اقل احاطة بالمسائل من كل وجه من ذاكرة الرجال ، واضطراب المرأة أعظم بكثير من اضطراب الرجل . وتزيد في بعض ادوار حياتها اضطراباً حتى تكون في حالة مرض وغضب ، فتصبح مدة الحمل احياناً كأنها في جنون عارض . وهكذا انفرد الرجل بالذكاء والمرأة بالشعور ، والرجل كل حين يفكر ويقدر والمرأة تشعر وتحس ، فالشعور فيها هو كل ما لها من آيات النبوغ . قالوا ان المولى أبى ان يرزق النساء قرائح لتتجمع كل شعلتهن في القلب . والطالبات ينقصهن الاستقلال في الفكر والتعمق فيه فهن آخذات غير موجدات . وقارن بين ثلاثة من الكتاب « بوسويه » و « فلوبير » و « پول ڤاليري » ، وبين ثلاث كاتبات « مدام دي سيفينيه » و « جورج صاند » و « مدام كوليت » فثبت له ان في انشاء الرجال منطقاً سليماً وفكراً مستقيماً كانت منه متانة جملهم ورنة أصواتهم الموسيقية وتساوق المجموع من أقوالهم على خلاف كتابة أولئك الكاتبات العظيمات .

وذكر جان لارناك في كتابه تاريخ الأدب النسوي في فرنسا Jean Larnac : Histoire de la littérature féminine en France انه لم تبق قلعة للذكور الا وتخطاها النساء في العهد الأخير حتى مدرسة المعلمين العليا منابر الجامعات ولم يبق أمامهن عائق يعوقهن عن التعلم ونشر ما يستهوي قلوبهن ويرضي نفوسهن واصبحن في حل من ان يتعلمن كما يشاء لهن الهوى ، وغدا منهن الأساتيذ والصحافيات ومديرات دور الطباعة واخذن ينافسن

الرجال في جوائز الأدب والمجامع الأدبية العامة والخاصة فتمت لهن كل أدوات الثقافة في بيوت العلم . ولكن القرائح تخلق خارج المدارس وللنساء ان يتوسعن ماشئن وليس في مقدورهن ان ينبعثن الى الحد الذي يطمحن اليه ولا يسرح النساء ويمرحن إلا في ظل الحرية فإذا اخذن من عنان قرائحهن يفقدن اجنحتهن ، ولذا بقين الى أول القرن العشرين يمشين على اثر الرجال ولم يحررن التحرر المطلوب الا في هذا القرن . حتى لقد قال ستندال ان قلة استعداد المرأة لبلوغ مراتب الكمال في التأليف منبعث من كونها ما جسرت ذات يوم ان تتحلل من قيودها الا نصف تحلل ومتى حاول النساء الحرية المطلقة فكأنهن يخرجن بلا خمار ، على أنهن بعد هذا خرجن بلا براقع وأحياناً بدون دثار ولا شعار .

والواقع ان النساء بأسرهن عبيدات حواسهن واعصابهن وقلوبهن لا ينجع فيهن اعتراض اذا خالف قانون الطبيعة وأعني الحب . وكان الأديبات منهن اذا مجدن الحب بالمعنى الوجيز يجهلن حب الأمومة على ما تجلى ذلك في مكتوباتهن ، ومع هذا تراهن يتكلفن فيما يسطرن ويتطلبن الى حواسهن وقلوبهن ان تعطي اكثر مما لها ، وما كتب لهن الا أن يكنّ ادوات تحس وتهتز وان يجعلن من العالم مجموعة احاسيس . واذا فحصت الأدب النسوي المعاصر من حيث الإنشاء تسقط فيه على قرائح عظيمة وعلى نبوغ أيضاً وقلّ ان تقع فيه على شيء اسمه فن . ويقال ان النساء ما عدا اثنتين او ثلاثاً منهن لا يحسنّ التفريق بين المواد التي تتطلبها الحياة ، فمنهن من تجتهد اجتهاداً تنتج به آثاراً طيبة وكثيرات يرسلن اقلامهن على فيضها كما يشاء الهوى لا يحفلن التنقيح ولا سلامة التراكيب ، وفيهن من اتخذن الأدب للسياسة ومنهن من عانين فلسفة الأخلاق ومارسن فن التربية ، وظللن فيها متوسطات لم يأتين بإبداع وجاء أدبهن خالياً من التجدد .

لم يكتب للنساء التفوق على الرجال لأن التدقيق يصعب عليهن حتى ان القصصيات منهن لم يتوخين الا وصف الحب في كل مظاهره جعلنه موضوع اقاصيصهن ولم يعهد ان برزت امرأة في قصة « الدرامة » وما جاء منهن مؤرخة والمرأة تحسن

ان تضحك من مثيلاتها ولكنها لا تحسن الاضحاك اما الرجل فيحسن نقد نفسه كما يحسن نقد غيره . والمرأة تحاذر كثيراً من المزاح الذي يأتي على الاعتبار والحرمة والحب ، وهي مجموعة عواطف تحس بالحاجة اليها كل الاحساس وتخشى أن تقع فيها .
وكذلك هن في التاريخ فقد نشأ منهن مدونات مذكرات بكثرة وقام منهن قصصيات ومنهن اليوم أستاذات في التاريخ وأستاذات في استخراج المكتوبات والمخطوطات وما جاء منهن إلى اليوم مؤرخة من عيار تيري ولا ميشيليه لأن اللازم للتبريز في التاريخ معلومات كثيرة ليس في مكنة المرأة احرازها ، والواجب ان يكون لها فكر نقاد عار عن كل هوى للتمييز بين الحقائق والظنون ، وعقل مجرب لإدراك ألوف من الروابط تجمع الحوادث بعضها الى بعض ورأي ثابت خال من التفصيل في العواطف وقدرة على النظر نظرة واحدة الى كل عصر ، ولهذا لم ينشأ من النساء عظيمة في باب النقد الأدبي والفني ، ولا كان منهن فيلسوفة تلفت النظر . ومن النساء من كانت لهن مقدرة على الاستفادة من دروس أساتيذهن وليس فيهن واحدة ابتدعت مذهباً وما قام منهن واحدة استطاعت ان تخلف مثل « خطاب في التاريخ » ولا « الأفكار لباسكال » فهن قاصرات في جميع الفروع التي تستلزم من المؤلف التجرد المطلق من نفسيته وما لمعت اعمالهن الا في موضوعات لا فنّ فيها وقلائل منهن من كتب لهن التفوق في الإنشاء والكتابة دون ارشاد الرجال لهن فان « مدام لا فاييت » أشرف عليها « سكرى » و « لا روشفو كولد » ، و « مدام دي ستال » سارت بسيرة اصحابها العديدين ، و « جورج صاند » قادها عشاقها و « مدام كوليت » راقب أعمالها « فنيلى » .

لم تتح مواهب النساء الطموح لهن الى منزلة في الأدب المجرد وشهدنا آثارهن أحياناً خالية من الصنعة ، فصح ان يقال ان ليس لهن قدرة على التفكير الصحيح والتوسع اللازم لوضع الفكر المجرد والانشاء الفني ولم يكتب للنساء درجة عالية حتى في فن الطهي ورأينا كبار الطهاة من الرجال لا من النساء ، وتراهن في باب الأزياء ، والأزياء من أخص خصائصهن يتكلن على غيرهن في باب التجمل فهن

أيضاً مقودات بأيدي الرجال بل ان النساء الملكات كما لاحظ باريه دورفيلي قد فقدن البداهة والعمل الذاتي وما ساعد اليزابت الانكليزية الابورليخ واذا ذكرت كاترين الروسية ذكر معها بطرس الأكبر . قال إن اعطاء الحقوق السياسية لم ينتج منه الاصلاح المنشود في شمالي اوربا وفي اميركا واوستراليا حيث أخذ النساء يتمتعن بحقوق الناخب والمنتخب . ففي الدانيمرك لم يأت النساء بشيء احسن مما كان لتلك البلاد يوم كان نساؤها يسلمن للرجال بمقاود الأمور ولم يقض على الغول (الكحول) في بلاد السويد والنرويج وفنلندا واوستراليا والولايات المتحدة أما الفحش فكثير جداً في هاتيك الممالك مشوباً برياء وتصنع .

خرج المتعلمات في الجامعات الأميركية من البيوت الفقيرة وأظهر الفتيات في فرنسا وغيرها اجتهاداً في طلب العلم وقد يتعلمن بدعة وسرعة كل ما يتطلب اجهاد الذاكرة وقد يبرزن في المسابقات ولسن كذلك عندما يخرجن الى الحياة ويضطررن الى القيام بأمر يحتاج الى تفكير وشخصية وصحة حكم . وقل ان ينجحن في المحاماة والطب وقل ان يقبل ارباب المصالح على توكيلهن في القضايا أو استشارتهن في الأمراض . ومن تزوج منهن من رجال لهم مثل صنعتهن كأن تتزوج الطبيبة من طبيب والمحامية من محام لم يحمدن غب زواجهن لأن التفاوت في قريحتي الزوجين يؤدي الى ان تحسد الزوجة زوجها على توفيقه في عمله فتبغضه وتشنأه .

وثلث المتعلمات في اميركا لا يظفرن بأزواج . وكلما احرزن شهادات تخوف الرجل الاقدام على التأهل بهن . وثبت ان من تزوجن في فرنسا لم يقدمن على الزواج الا بعد سن الثلاثين وأحياناً في الأربعين وكان معدل العقم من هذا الزواج تسعة وثلاثين في المئة لا تنسل صاحبته ولا تلد .

أخذ بعض النساء بعد الحرب العامة يرجعن في فرنسا عن تعاطي المحاماة والطب وأثبت الموظفات منهن في الادارات الحكومية والخصوصية ان المرأة عندما تجلس وراء كوة او نافذة للقيام بعملها تصبح اشبه بالحيوانات المفترسة وكانت خارج عملها من الساحرات الفاتنات بلطفها وظرفها . قالوا ان النساء اذا شاركن في السياسة

يدمثن الأخلاق ويبطلن الحروب ويشرعن تشريعاً انسانياً اكثر من تشريع الرجل والواقع خلاف ذلك لأن من الموظفات من اذا رُضخ لهن بشيء من المال يبسمن ويغيرن معاملتهن فما بالك بحالهن اذا عرضت على الواحدة منهن المئات ؟ ومن تولين أعمالاً لا شأن لها كثيراً لم ينجحن النجاح المطلوب ومن نجحن كن بتراكيبهن الجسمية اشبه بتراكيب الرجال من حيث العضلات والقوى . وما نجح النساء في تولي الحكومات لو لم يكن لهن مؤازرون عظماء من الرجال يعملون كل شيء وينسبون ما عملوا للملكات . واذا رجعنا الى تراجم الملكات والأميرات نجد كثيرات منهن على جانب من التهتك والخلاعة وما تعففن عن غمس أيديهن بالدماء ، ويكون ذلك احياناً لمآرب لهن وللتخلص من رجال تمتعن بهم ثم أردن الغاء ذكرهم . واذا أردنا ان نذكر شهيرات النساء في الأدب لا نرى غير الرجال يعملون لهن من وراء ستار على الأكثر ، وما تركت فيه المرأة وشأنها من الآثار الأدبية كان الى التفاهة والفهاهة .

قال ولقد رأينا محاميات انقلبن خادمات في البيوت ولدينا براهين كثيرة على انه خير للمرء ان يحسن صناعة من ان يحمل شهادة حسنة فقد نال كثير من النساء لقب دكتورات في الحقوق فأصبحن كاتبات بسيطات على الآلة الكاتبة ، يتعلم النساء علماً كثيراً ولا يعرفن احتياجهن الى كسب قوتهن .

قال برودون ان المرأة التي تبتعد عن جنسها تسقط الى مستوى انثى مهذارة وقحة كسلانة خائنة خالعة مسممة وهي طاعون أسرتها والمجتمع . وقال لوكوفيه ان المرأة الطبيبة يتقزز منها والمرأة التي تتولى كتابة الصكوك يضحك منها والمرأة المحامية يفزع منها . وكان اوجست كونت يعرف النساء كثيراً ويغرم بهن كثيراً ويخالف في تحريرهن ويعرف انهن ما عدا القليلات منهن جداً لم يخلقن للعمل ولا للحرية ولا لتحمل التبعات . ويقول جوزف دي مستر في كتاب له الى احدى بناته ان ڤولتير يدعي ان النساء قادرات على ان يعملن كل ما يعمله الرجال وما دعاه الى قوله هذا غير التقرب من قلوب بعض الغواني الفاتنات فالنساء لم يأتين بأثر

يذكر في ضروب الآداب فلم يؤلفن الالياذة ولا الانياد ولا القدس المنقذة ولا فيدر ولا اتالي ولا رودكون ولا الميزانتروب ولا تارتوف ولا زهرة دي دميديسيس ولا ابولون دبلفيدر ولاالبرسة ولا كتاب الأصول ولا خطاب التاريخ العام ولا تلماك ولم يخترعن الجبر ولا المجاهر ولا المناظر ولا مضخة النار ولا صناعة الجوارب الخ وما قامت امرأة عالمة جديرة ان تعد بين العلماء فالمرأة ليست في حال تستطيع ان تفوق فيها الرجل الا بأنوثتها وليست سوى قردة اذا أرادت المساواة بالرجل ٠

قال المؤلف الذي نقلنا عنه هذا : أيتها المرأة انك مهما فعلت مسوقة بنابل من الكبرياء وبعوامل اكرهتك على خوض غمار ازمة هذه الأيام لتخرجي من حظيرة جنسك وتقطعي صلتك بعملك الأبدي السامي لن تكوني الا صاحبة وزوجة وأماً ، واذا أنسيت رسالتك فان الطبيعة ستتولى عاجلاً أو آجلاً تذكيرك ان الأقدار ما خرجت بك الا لتكوني شريكة الرجل وأم أولاده وجزءه المتمم ونصفه ، وأحياناً الموحية اليه والمنقذة له ٠ انت ابداً مهد الآلام البشرية وستظلين على ذلك الى يوم البعث والنشور ٠

سيداتي سادتي كنت ولا أزال ظهيراً للمرأة محباً لإنصافها آسفاً للاستعباد الذي حاق بها محاولاً تعليمها كل ما يرفع من شأنها داعياً لإمتاعها بحجابها الشرعي ذاهباً الى ان تخلف المرأة المسلمة عن الأخذ بحظ من التهذيب قذف بالمسلمين من حالق المدنية الى هاوية الانحطاط ، وما طلبت اعطاء المرأة زيادة على حقها قط ، وما جوزت لنفسي ان أخدعها واتملقها توقعاً لرضاها ، وكنت وما برحت على مثل اليقين ان من يعاون المرأة على مساواة ، لرجل يخدعها ويضحك منها ٠ وصديقك من صدَقك لا من صدّقك ٠

محمد كرد علي

بقايا الفصاح

وردت في محاضرة من محاضرات دمشق في الشهر الماضي هذه العبارة : فالسياسة المجرّدة من علم النفس انما هي سياسة مُفشفشة ، ولما سمع الجمهور لفظ : مفشفشة ، ابتسموا ، فهذه المادة العامية منحدرة من أصل فصيح ، وابتسام الذين سمعوها دليل على موقع أمثال هذه الألفاظ في أفهام الناس ، جاء في القاموس المحيط : فشفش ، ضعف رأيه ، ولكن العامة في دمشق توسعت بعض التوسع في معنى هذه المادة ، فاذا قالت : فلان فشفش ، أرادت بقولها انه ضعف ولم يبق له أمر نافذ ولا عمل ولا تأثير ، وما أظن ان لفظاً من الألفاظ يقوم مقام : فشفش في أفهام العامة ، فاذا قلنا لها : فلان ضعف أو قلّ سلطانه أو قرب زواله ، فكل هذا لا يغني عن قولنا : فلان فشفش : وابتسام الجمهور الذي أشرت اليه برهان على منزلة هذه المادة في أفهام الخاصة والعامة معاً .

وقد ذكر الميداني هذه المادة في أمثاله ، إذ قال : — سمينك الفشفاش ان لم تقطع — الفشفاش السيف الكهام وروى ابو حاتم الفشفاش بكسر الشين ، جعله مثل قطام ورقاش ثم أدخل عليه الألف واللام يضرب لمن ينفذ في الأمور ثم خيف منه النبو . والمادة في هذا المقام تحتوي على شيء من الضعف .

ومن قول العامة في دمشق : فلان ذلق فقال كذا ... و كذا ... ، وذلّقه فلان ، بالتشديد ، فقال كذا ... و كذا ... وفلان ذلق لسانه فقال كذا ... وكذا ... وهي تريد بقولها هذا انه قال شيئاً على الرغم منه ، أو على سبيل النسيان ، أو من باب الاكراه والاستدراج في الاستنطاق ، وذلك ان المرء يخفي شيئاً في قلبه ثم يجري هذا الشيء على لسانه لأمر من الأمور التي ذكرتها ، فما هو أصل هذه المادّة ، واذا كان لها أصل فصيح فهل من نسبة بين الأصلين العامي والفصيح ؟ .

في اللغة : ذلق اللسان كفرح فهو ذلق وأذلق أي ذرب ، وذلق اللسان كنصر وكرم فهو ذليق وذلق بالفتح وذلق كصرد وعنق ، أي حديد ، بليغ ، فعلى هذا الوجه ليس بين المادتين العامية والفصيحة شيء من النسبة .

فلنبحث عن معنى آخر لهذه المادة ، من معاني : أذلقه ، أقلقه وأضعفه ، ومن

معانيها : أذلق الضبّ ، صبّ الماء في جحره ليخرج كذلّقه ، فأرى ان النسبة بين الأصلين العامي والفصيح قد وضحت .

جاء في الأغاني ، في كلام صاحبه على وقعة بدر ما يلي : فضربوهما أي ضربوا غلامين لبني الحجاج وبني العاصي ، فلما أذلقوهما قالا : نحن لأبي سفيان ، فتركوهما ...

فمعنى أذلقوهما في هذا المقام أقلقوهما وأضعفوهما ، أو على سبيل المجاز أحرجوهما كما يحرج الضبّ ، حتى أقرّا بالذي يريده القوم .

وعلى هذا الشكل اذا قالت العامة : فلان ذلق فقال كذا وكذا ... فإن قولها له أصل فصيح ، ولكنها تصرّفت بعض التصرف في هذه المادة ، فقد استغنت عن الأصل الرباعي : أذلقه ، ومالت إلى الفعل الثلاثي ، فجعلت منه فعلاً لازماً ، فبدلاً من أن تقول : أذلقه فأُذلق ، او ذلّقه فذُلّق ، للمجهول ، خففت المادة وبنتها للمعلوم ، فجعلت منها فعلاً لازماً وهو : ذلق ، وهي تلفظ هذا الفعل بكسر العين ، أي من باب فرح ، فاذا قالت العامة في دمشق : فلان ذلّق فلاناً بالتشديد ، فذلق ، فلما ذلق قال كذا ... وكذا ... فان قولها هذا مبني على أساس فصيح .

ومن قول العامة : تخانقوا ، أي تقاتلوا ، والذي في القاموس المحيط : خنقه فاختنق ، الآن هذه المادة وردت في الأغاني فقد ذكر أبو الفرج في أخبار جعفر بن علبة الحارثي الأسباب التي هاجت الحرب بين جعفر بن علبة وبين عقيل فقال في جملة الكلام : فتحدثنا عندها — أي عند أمة لشعيب بن صامت الحارثي — فمالت الى العقيلي ، فدخلتها مؤاسفة حتى تخانقا بالعمائم فانقطعت عمامة الحارثي وخنقه العقيلي حتى صرعه ...

فالتخانق كان في القديم بالعمائم ، كل واحد يحاول ان يخنق الآخر حتى يصرعه ، ثم تعاقبت العصور على هذه المادة ، حتى أدركت عصرنا هذا ، فأُطلقت فيه على مجرّد المقاتلة ، فلا يشترط في التخانق في أيامنا وجود العمائم ، فإذا قلنا : تخانقوا أردنا بقولنا هذا مجرّد التقاتل ، فقد يتخانق القوم ولا عمائم على رؤسهم ، واشتقت العامة من هذه المادة لفظ : خناقة ، وأضافتها الى : مخانقة ، وهي كثيرة الاستعمال لها فاذا قالت : في حي كذا ... أو شارع كذا ... خناقة فانها تريد بهذا القول : مخانقة ، أي مقاتلة .

وكثيراً ما نستعمل في عاميتنا لفظ : محشوك ومحشوكين ، ونحن نريد بالأول المكان وبالثاني الجماعة ، فاذا قالت العامة : محشوك ، أرادت بقولها مجلساً مزدحماً ، واذا قالت ، محشوكين ، أرادت : جماعة مزدحمين .

وأصل هذه المادة الفصيحة يدل على الكثرة والاجتماع ، حشكت الناقة لبنها حشكاً وحشوكاً ، جمعته ، فهي حشوك ، وحشكت السحابة كثر ماؤها ، والنخلة كثر حملها فهي حاشك ، وحشك القوم ، تجمعوا .

فما أكثر الأطوار التي تقلّبت فيها هذه المادّة ، فقول العامة في مجلس من المجالس : محشوك ، معناه : ملآن ، وعلى هذا فانها استعارت هذه المادة من حشكت الناقة لبنها ، فاللبن محشوك ، أي مجموع ، ولكن العامة بدلاً من أن تطلق لفظ محشوك على القوم المجموعين اطلقته على مكان الاجتماع ، فاذا استعملت هذه المادة مفردةً أطلقتها على المكان واذا استعملتها جمعاً أطلقتها على الجماعة المجموعين في المكان ، وفي كل الأحوال فان بين استعمالها لهذه المادة وبين أصل المادة الفصيح نسبة قوية ، فلفظ : محشوك ، الشائع في دمشق أصله فصيح ، والعامة تستعمل في كلامها مصدر هذه المادة ، فمن قولها : حشك كثير .

ولا بأس بأن أختم هذا المقال بذكر تركيب ، فيه شيء من اللغة الشعرية ، في أيام المشمش نسمع كثيراً في دمشق المناداة الآتية : حلو الدلال يا حموي ، والمشمش الحموي آخر أنواع المشمش ، ومدته قصيرة جداً ، فاذا استعملت العامة في ندائها هذا التركيب الشعري ، فهي تريد أن تفصح عن منزلة المشمش الحموي في الأفواه والأذواق .

وكم يكون مبلغ عجبنا اذا علمنا ان هذا التركيب بعينه جاء في شعر وضاح اليمن :

دعاك من شوقك الدواعي وأنت وضاح ذو تباع

دعتك ميالة لعوب أسيلة الخد باللماع

دلالك الحلو والمشهي وليس مريك بالمضاع

فلا تزال العامة في دمشق تستعمل في كلامها اللغة التي كان يستعملها وضاح اليمن في شعره على أيام بني مروان !

شفيق جبري

العنصر العربي (١)

يمثل مؤتمركم الكريم رجالات العلم والشرع ، في جزء غير قليل من بلاد العرب ، فمن حقه اذن ان يسود جوه حرية من الفكر ، وحرية من الرأي ، يعبر عنها صاحبها بصراحة في القول ، لا غمغمة معها ولا جمجمة ، واي قيمة تبقى للعلم بله القانون والشريعة ، اذا جبن المرء عن عقيدته ، يعالن بها محضة مخلصة .

هذا ما جعل الخطباء — في هذا الموسم القضائي العربي — يدلي كل منهم بما يبدو له انه الحق وهذا ما يحملني على ان ألقي كلمتي هذه . ما اعددتها من قبل ، ولكني استمددتها مما قاله بعضهم ، فهي كلمة اوحتها كلمات ، تتناول كلمتي هذه موضوعات ثلاثة :

العنصر العربي — القضاء اللبناني — الشرع الاسلامي .

١ — <u>العنصر العربي</u> : أطلق على هذا المؤتمر «المؤتمر العربي للمحامين» «ومؤتمر المحامين العرب» وملأت اجواء هذه القاعة : قاعة المحاضرات وجنباتها ، كلمات العرب ، والعروبة ، والقومية العربية ، وكل ما ينطوي تحت ذلك ويتصل به ، من امثال هذه الألفاظ والتعبيرات .

وسمعت خلال ذلك تمتمات وهمسات ، تتردد على الشفاه وتلقى في الآذان ، الفينة بعد الفينة ، يتساءل اصحابها عما اذا كانت هذه الشعوب التي تتوطن هذه الأقطار المترامية الأطراف ، ما بين المحيط الهندي وبحر الظلمات ، هي حقيقة أمة عربية واحدة بالمعنى الصحيح الذي يفهم من قولنا «أمة» .

ولم اسمع من الخطباء والمحاضرين ، من عني بهذا الموضوع او تعرض له ، والميدان ميدانه ، اذ هو بحث اجتماعي ، يتصل بالأبحاث القانونية ، بأوثق الأسباب ، بل هو البحث الذي تقوم على صحته وصدقه سياسة هذا المؤتمر ، وما يرمي اليه من اهداف وغايات .

---

(١) ملخص المحاضرة التي ألقيت في مؤتمر المحامين المعقود بدمشق في ١٢ آب سنة ١٩٦٨ وهي لمحات قد نعود فنتوسع فيها يوماً من الأيام .

لذلك رأيت ان استهل كلمتي بهذا السؤال :

هل نحن ابناء هذه الأقطار التي تتكلم العربية ، عرب حقاً ؟ ام نحن ابناء لغة نطقنا بها فانتسبنا اليها لساناً لا عنصراً ، فبنوتنا في العروبة تنتهي عند هذه اللغة ، لا تتجاوزها الى البنوة القومية ، دع بنوة العنصر والدم ؛ ونحن — اقصى امرنا — انا ابناء اللغة العربية ، وبلادنا ، على ما يقول بعضهم الى اليوم — بلاد العربية — على الاضافة وحذف المضاف اليه : اي بلاد اللغة العربية — لا البلاد العربية — على النعت والصفة .

اذا قلنا باديء الرأي ، ان صلتنا بالعرب الأولين تقف عند اللغة ، فأي شعب من الشعوب المتحضرة لم تكن اللغة هي العامل الأول في تكوينه ، واي شعب يستطيع ان يزعم لأبنائه انهم ينحدرون من اصل واحد جامع ، ويجري في عروقهم دم خالص محض ، لا هجنة فيه ولا فيه قرف .

لا ! ليس في أمم التاريخ الحاضرة حتى ولا الغابرة ، أمة مهما بلغ من عنجهيتها وصلابتها ، ومن اعتدادها بنسبها واصلها ، ليس من أمة لها ان تقول صادقة ، انها ليست في جمهرتها الكبرى من فعل لغتها وتكوينها .

ولكم في التاريخ من محاولات ، عجزت عن ان تفرق بين الدخيل والأصيل ، بل قد يغلب الدخلاء ، الأصلاء على امرهم في قلب بلادهم ، وفي اخص مستخصاتهم ، حتى اذا اشتركا في اللغة عادا وهم شعب واحد ، واصلهم — على مر الأيام وزعمهم — جميع والأمثال على هذا ، ولا سيما في أوروبة اكثر من ان تعد بالعشرات [1] .

فاللغة في الحق والواقع ، هي التي تصير الأفراد أمة واحدة ، والناس للغتهم اكثر مما هم لآبائهم .

---

(١) أنستطيع أن تفرق بين الغوليين (Gaules) سكان فرنسا الأصليين وبين الفرنك (Francs) — واليهم ينتسب الفرنسيس — وهم قبيلة جرمانية وكذلك الفيزيكوت [القوط الغربيون] Wtsigotts والهن Huns ؟ أو تستطيع أن تفرق بين النورمانيين والسكسونيين في انكلترة ؟ إلى كثير غيرهم من الشعوب المختلطة المتمازجة في غيرها من البلاد .

وقديماً قال النبي العربي العظيم : ليست العربية لأحدكم بأب ولا أم ، وانما هو اللسان ، من تكلم العربية فهو عربي .

واذا كانت اللغة وحدها هي التي صيّرت كثيراً من الجماعات شعباً واحداً ، فنحن العرب في هذه الأقطار -- التي نعمرها — أمة واحدة بشيء آخر غير اللغة . نحن أمة بالعنصر ، بل بكثير من الدم الواحد ، وبالتاريخ ، وبالشريعة والحضارة ، وبسائر الخصائص التي تتألف منها الأمة الواحدة من اماني واهداف وآلام وآمال في غابرنا وحاضرنا ومستقبلنا ، ولا نريد ان نزعم ان هذه الأمة العربية هي بأسرها وفي اصلها ، من عنصر واحد ، ودم واحد ، فهذا ما نفينا ان يقع مثله لشعب من الشعوب المتحضرة ، وانما نقول ان العنصر والدم العربيين ، هما الغالبان في هذه الأمة ، غلبة ما يتوفر لأمة من الأمم مثلها الا في الندرى ، وأخرى : هي ان الذين استعربوا فعُدُّوا في الأمة العربية ، ليسوا غرباء عنها كل الغربة ، بل كانوا في سوادهم الأعظم من اخواننا وابناء عمومتنا ، في العرق ، فسهل بذلك اندماجهم فينا اندماجاً سريعاً كاملاً ، لم تقو السنون والنكبات على تمزيقه وتفكيكه ، ولا القضاء عليه .

وكلمة بعد ، في وحدة العنصر وغلبة الدم ، اذا لم يتسع الوقت للإفاضة فيها ، فلا يصح ان نغفلها فلا نذكرها ، ذلك انه قام في مصر ولبنان في فترة من الزمان ، من يقول بفرعونية مصر ، وبفنيقية لبنان .

أما مصر ، فحسب احدنا ان يرجع الى ما قاله الكندي في «أخبار القضاة» والقلقشندي في «صبح الأعشى» وهما مؤرخان مصريان ؛ فلقد ذكرا القبائل العربية التي نزلت مصر قبيلة قبيلة ، وهي تعد بالمئات ، يكفي بعضها ان يلد في ثلاثة عشر قرناً ما يزيد على تسعة اعشار المصريين اليوم .

ولبنان احتل العرب كثيراً من جوانبه قبل الإسلام «وعشعشوا — على تعبير الأب لامنس — في جباله الساحلية الممتدة من طرابلس الى جبيل» وملكوا الجبل الشرقي والبقاع ، ثم كانت اليه في الاسلام هجرتان عربيتان : هجرة نصرانية من مشارف الشام ، وهجرة اسلامية من ارياض العراق .

ولبنان عربي ببيوتاته القديمة العريقة ، اسمائهم واحزابهم [1] وعاداتهم ومعايشهم وسائر ما يتصل بحياتهم الأصلية ، وليس ادل على غلبة العروبة في لبنان ، من ان اللغة السريانية وهي لغة دينية عند قسم كبير فيه ، تتعلم تعلماً ، وليس فيهم من يحسنها تلقياً ، على قدامة هذه اللغة على ما قلنا ، وعلى تفرق القرى اللبنانية وانعزال القسم الأكبر منها في رؤوس الجبال .

ودمشق المدينة العربية الجبارة ، لا يزال على ابوابها ثلاث قرى : معلولا ، وجبعدين ، ربخعة ، يتكلم اهلها السريانية مسلمهم ونصرانيهم على السواء .

وفي هذا الدليل الذي لا يمارى فيه ، على ان هؤلاء من سلالة سريانية ، احتفظوا بلغتهم حتى بعد اسلامهم ، ولو كان اللبنانيون سريان او جمهرتهم من بقايا السريان ، لاحتفظوا بلغتهم السريانية ، فهم احق من غيرهم بها .

فلبنان ليس ذا وجه عربي ، فالوجه يتقلب ويتلون ، ولكن لبنان عربي الوجه ، والدم ، والجنان [2] .

المصلحة المشتركة : وبين الأقطار العربية مصلحة مشتركة ، وعلاقات مترددة مشتبكة ، وهذه العلاقات تتناول مناحي الحياة جميعها : المادية والمعنوية ، فليس من هذه الأقطار العربية قطر يستغني عن أخيه . والمصالح المشتركة المستقرة ، هي من جملة العوامل الرئيسية في تكوين الأمة الواحدة ، وتوثيق عراها .

(١) قل أن تجد في لبنان أسرة مشهورة نسبها غير عربي ، واسمها غير عربي . وقد بلغ الأمر بكثير منهم ، أن استعملوا أداة التعريف وأدخلوها حتى على الأسماء الأعجمية جرياً على العادة العربية البدوية . والأسماء القليلة غير العربية عندهم ، أكثرها أسماء أنبياء وقديسين ، تسموا بها تبركاً ، فهي لا تنفي عروبة ، ولا تثبت عجمة .

أما أحزابهم فعربية محضة ، كان أشهرها القيسية واليمنية : وكانت غالبة حتى في لبنان «الأقدم» الماقورة وما إليها . وهي المنطقة الشمالية من لبنان الحاضر ، والتي كان يطلق عليها وحدها اسم « لبنان » قبل وضعه الآخر ، وقبل التقسيمات الادارية العثمانية الحديثة .

(٢)هذه العبارة غضب لها القائلون « بالوجه العربي » في لبنان . بل القائلون :ان لبنان [ذو وجه عربي] فهاجوا علينا جرائدهم فهاجتنا بما ينم عن أدبهم وأدبها ... وقد تجنوا علينا بهذه القضية سامحهم الله . فنحن ليس إياهم خاطبنا فيغضبوا . وإنما خاطبنا ذوي القلوب العربية ، والعقيدة القومية ، و « ذوو الوجوه » ليسوا منهم ، فيساق الكلام إليهم ..

كان الظلم اذا اشتد في مصر ، لجأ كثير من أبنائه الى الشام ساحله وداخله ، واذا ضيم الشام ، فزع بنوه الى مصر ، كان ذلك منذ أيام محمد علي ، فاسماعيل ، فثورة عرابي ، فأيام عبد الحميد فالاحتلال الأجنبي . وكانت صحافة الشام ولا سيما الجنان ، والجنة ، والجنينة [1] متنفساً لنفر من المصريين ، كما كانت الصحافة المصرية ولا تزال ، ميداناً فسيحاً لأقلام الشاميين ، ولا سيما السوريين واللبنانيين منهم .

ومصر ، مدينة في بعض نهضتها الى رجالات العلم والأدب والفن من أهل الشام ، وبخاصة لبنان ، وقد عاون هؤلاء الأعلام النهضة المصرية ، وهم مدينون لمصر بشهرتهم وتخليد ذكرهم . فمن أين لهم أن يذيع صيتهم لو أنهم انزووا في جبالهم وقبعوا في قراهم . أي شيء كان يكون البستاني واليازجي والشميل وزيدان وضروف ، وغيرهم .. لو لم يهبطوا بيروت وهي يومئذ من سورية لا من لبنان حتى اذا ضاقت بهم قصدوا الى مصر ، فطارت لهم من هناك تلك الشهرة الخالدة ، وأدوا فيها للعالم العربي تلك الخدمة الصادقة .

وحركاتنا السياسية ! ألم تكن في بادئ أمرها تقليداً لمصر ? من سياسة سلبية ، الى سياسة ايجابية ، الى بعثات ترسل ، واسماء تطلق ، تتلمذنا فيها على مصطفى كامل ، ثم على سعد من بعده .

وأي نكبة حلت بأحد القطرين ، الشامي والمصري ، إلا حل بالقطر الثاني مثلها ، حتى كاد يكون أمرهما واحداً ، ومصيرهما واحداً في الاسلام وقبل الاسلام .

وأقف هنا ولا أزيد في تعداد العلاقات والرابطات .

فالأقطار العربية ، وخاصة : مصر ، والعراق ، والشام ، — بهذا الذي أصبحوا يسمونه سورية ولبنان وفلسطين وشرقي الأردن واحدة بلغتها ، واحدة بعنصرها ، واحدة بمصالحها . واحدة بماضيها البعيد ، وحاضرها العتيد ، ومستقبلها الأكيد .

عارف النكدي

---

[1] الجنان ، والجنة ، والجنينة : صحف كان يصدرها في بيروت المعلم بطرس البستاني اللبناني ، أولها شهرية ، والثانية أسبوعية ، والثالثة يومية .

قنبرة؟ قنبلة؟

لا تنشأ لغة من لغات البشر وتدور على ألسنة أهلها ما لم يتسرب اليها كلمات من اللغات المجاورة . وهو ناموس طبيعي لا تسلم منه لغة . ولا تستعصي عليه لهجة . وقد تسرب الى لغتنا معشر العرب كلمات أعجمية منذ الجاهلية الأولى ولا تزال تتسرب الى يومنا هذا : فاذا فرضنا ان (سجنجل) الواردة في شعر امرئ القيس هي أولى تلك الكلمات كانت كلمة (الكوتا) مثلاً آخرها .

ومن هذه الكلمات الأعجمية ما يعرف أصله والزمن الذي تولد فيه . ومنها ما يبقى ضائع الأصل . مجهول الميلاد . أبداً أو الى حين : من ذلك كلمة (قُنْبُلة) واختان لها تشبهانها وهما (قُنبُرة) بالراء و (خُنبرة) بالخاء . وثلاثتها (اي قنبلة وقنبرة وخمبرة) تدل على ما يقذفه المدفع من فمه . ولا يوجد في اللغة الفصحى كلمة استعملها العرب في معنى (قنبلة) لأن العرب لم يكن من آلات حربهم المدافع حتى يكون لها قذائف يتفننون في وضع اسماء لها كما تفننوا في وضع أسماء للسيوف والرماح والنبال . نعم : عندهم كلمة (المرامي) و (القذائف) وهي اسماء لما يُرمى به بأية طريقة كانت : فأحجار المنجنيق والمقلاع مرامي وقذائف . والسهامُ والنشّاب مرامي وقذائف . فاذا أردنا ان نستعيض عن كلمات قُنبلة وقنبرة وخمبرة المولدات الدخيلات بكلمات عربيات أمكننا من أول نظرة أن نستعمل مكانها المرامي والقذائف . فتموتَ هذه الأعجميات كما مات من قبلها كلمتا (بومبه) الافرنسية . و (كلّه) الفارسية .

ولكن الى هذا اليوم لم تمت كلمة (قُنبلة) بل ان الصحفَ والنشرات واذاعات الراديو التي تروي لنا اخبار الحرب الحاضرة ساعةً فساعة زادوها انتشاراً . ورفعوا الصوت بها جهاراً . وكم مرةٍ ذكرت كلمة قنبلة بأفواه الناس في مدة ست سنوات الحرب هذه؟ تقولون : مراراً وتكراراً . هذه كلمة (القنبلة) التي تلفظ بأفواه الناس . أما القنبلة نفسها التي تلفظ بأفواه المدافع فقد قدّرت بعض مجلات الحرب الأميركية طلقاتها

بمليوني طلقة في اليوم • وطائرات (الموسكيتوس) كانت تلقي على برلين في كل ثانية من الزمن أربعة قناطير من القنابل • فالقنبلة اذن سيبقى اسمها على جهالة أصلها • وغموض نسبها متمكنًا في ألسنتنا • متبوأً مكانه من لغة صحافتنا وإذاعتنا • حتى أصبح من وفاء الذمم للغة العربية وتاريخ كلماتها ان نخص القنبلة بدراسة مانعة وافية تكريمًا لها وتشنيعًا عليها في آن واحد : إذ أن من قال انها تستحق التكريم فهو صادق • ومن قال انها تستحق التشنيع فهو صادق • على حدّ ما قاله الأستاذ احمد امين في كفر ابي العلاء المعري وإيمانه • ويحسن قبل الشروع في الكلام عن القنبلة أن نُنهيَ القول في تاريخ الكلمات التي تدل على معنى القنبلة والتي كثر استعمالها في لغة الحديث والكتابة وهي عشر : مِرماة • قذيفة • كُرة • كلّه • بومبه • قُنبلة • قُنبُرة • خُنبُرة • هاوُن • قزَان •

* * *

١ — (مِرماة ومثلها مِرْمى) وجمعها مَرَامي اسم آلةٍ من رمى يرمي • وهي أفصح أخواتها • وأعرقُهنّ في العروبة • وأقدمهن في استعمال اهل اللسان لها • وكانت كلمة (مرماة) تستعمل عندهم اسمًا للسهام أو لنوع منها ثم استعملت في أحجار المنجنيقات والعرّادات وهي المنجنيقات الصغيرات • ثم في شُعَل النار اليونانية وما تقذفه من الحدائد والأحجار •

٢ — (قذيفة) وجمعها قذائف ما يُقذف من الأشياء بواسطة اليد أو غيرها وقاذفها يسمى قذّافًا : فالمقلاع قذّاف والمنجنيق قذاف • وكلمة (قذيفة) عربية فصيحة مستعملة على قلة منذ القدم • قال الشاعر : (قذيفةُ شيطانٍ رجيم رَمى بها) •

وبقيت (القذيفة) منسيةً بجانب اختها (المِرماة) حتى انتبه الكتاب المتأخرون إلى عروبتها فجعلوا يستعملونها بمعنى قنبلة المدفع •

٣ — (كُرَة) اسم عربي قديم يراد به الجسم المستدير أو تقول المدوّر وأصل الكرة (كُرْوٌ) حذفت الواو • وعوض عنها التاء ولذا يقال في النسبة اليها

كروي . واهل المغرب في لهجتهم الدارجة يسمونها (كورة) بزيادة واو بعد الكاف . وليس في لفظ (الكرة) معنى الرمي والقذف المفهومين من المرماة والقذيفة . ولذا استعملت في غير الأدوات التي ترمى : من ذلك استعمال المهندسين لها في الشكل الهندسي المعروف . ومن اشهر ما استعملت فيه قولهم كرة الأرض . وكرة القدم . وكرة الصولجان

كرة ضربت بصوالجة فتلقفها رجل رجل

واكثر ما كان يستعملها الكتاب في القرون الوسطى في مقذوفات النار اليونانية : فكانوا يقولون إن تلك النار العجيبة تستعمل في دفع كرات حجرية من أنابيب معدنية . وقد استعملها هرون الرشيد في فتح هرقلة وغناه مخارق بقول الشاعر :

هوت هرقلة لما أن رأت عجباً حوائماً ترتمي بالنفط والنار
كأن نيراننا في جنب قلعتهم مصبغات على أرسان قصار

والأرسان الحبال وقالوا إنه في سنة ١٢٣٨ م رمى (دون جيمس) بلنسية بكرات نارية كانت تنشق في الجو . وفي زمن الملك الصالح أيوب دافعت دمياط عن نفسها ضد القديس لويس بكرات نارية محشوة . ثم لما اخترعت المدافع ورؤيت قذائفها مستديرة صاروا يقولون (كرات المدافع) يريدون مقذوفاتها لكن استعمال كلمة الكرات كان قليلاً بالنسبة الى استعمال (الكلل) أولاً و (القنابر) و (القنابل) أخيراً .

٤ — (كلّه) يلفظها العرب بتشديد اللام وكسر الكاف ويلفظها الترك بضمها. وحرفها الايرانيون فهم يلفظونها (كلوله) بلامين بينهما واو . وقد وجد اسم الكلة في لغتنا من يوم وجد (المدفع) في بلادنا . ولفظ المدفع عربي كما لا يخفى أما لفظ (الكلّة) فغير عربي . وقد كنت قلت في سبب تسميتها بذلك إن كلّه المدفع في شكلها تشبه الكلة التي يلعب بها الصبيان و (كلْ) معناه الطين في اللغة الفارسية . وكِلّة الأولاد لأول عهد استعمالها كانت تتخذ من طين مجفف . فلما رأوا كِلّة المدفع مستديرة مكورة شبهوها بها . وسموها باسمها . غير أن بعضهم يقول : إن اسم كلة المدفع مأخوذ من كلمة (كله) أو (كلاه) الفارسية بتخفيف اللام فيها وهو اسم لنوع من لبوس الرأس يكون مستديراً كما يكون

مستطيلاً وقد استعمل اسم (كلاه) في بلادنا فيما يعتمر به الدراويش ولا سيما دراويش المولوية . وقديماً رأوا قذيفة المدفع تشبه (كلاه) الدراويش فسموها باسمه ثم حرفه العرب الى كلّه ورجح القائد العسكري الكبير مصطفى بك نعمت ان تكون (كلة) محرفة من كلمة كرة العربية بقلب رائها لاماً وهو قلب معهود . وطريق مسلوك ومثله جلخ السكين أصله جرخ بالراء من الجرخ وهو الدولاب بالفارسية

وشمس الدين سامي في قاموسه لم يشر الى أن كلة المدفع عربية او فارسية وقد ضبطها بضم الأول وتشديد اللام وقال انه لا حاجة الى ان تكتب الكلة (كولة) اي بزيادة واو بعد الكاف . وكل ذلك من قوله يزيد في جهالة أصلها .

واذا لم يكن اسم كلة المدفع مأخوذاً من اسم كلة الصبيان . كان الأمر على العكس اي ان اسم كلة الصبيان مأخوذ من اسم كلة المدفع لما بينهما من الشبه في الشكل .

٥ — (بومبه) هي بالافرنسية (Bombe) وقد شاع استعمالها على ألسنة العرب بعد استعمال المدفع في بلادهم ومخالطة الافرنسيين لهم . ثم تنوسي استعمال لفظ (بومبه) بمرة واحدة . وغطى عليه اسم الكله .

٦ — (قنبلة) هذه اللفظة شاعت في لغتنا العربية شيوع لفظ (الكلة) واكثر ما تستعمل في لغة الكتابة كما أن الكلة اكثر ما تستعمل في لغة الكلام الدارج .

٧ — (قنبرة) وجمعها قنابر ، قال شمس الدين سامي ويلفظها عوام الأتراك قومبارة غلطاً . وقد استعمل كتّاب العرب كلمة (قنبره) في أوائل القرن الماضي وكادوا لا يعرفون سواها ثم غلب عليها استعمال (قنبلة) باللام . فأصبح أكثر وأشهر . حتى يوم الناس هذا، فانهم لا يستعملون سواها . اللهم الا ما قرأناه للامير شكيب ارسلان في كتابه (لماذا تأخر المسلمون) ص (٦٣) فهو يقول (وكانت آلاتُ القتال في عصر العرب كما هي المدافع والرشاشات وقنابر الديناميت في هذه الأيام) ثم قال (على أنه ليست الدبابات وأخواتها هي التي تبعث الحمية في الصدور بل الحمية هي التي تبعث بالطيارات والدبابات والقنابر) فيظهر من هذا ان الأمير يرى ان (القنبرة) هي الأصل فتكون أجدر بالاستعمال من (القنبلة) ولعله إنما

فضَّل استعمال القنابر بالراء اقتداءً بأصحابه المغاربة سكان شمال افريقية فانهم اليوم يستعملونها دون القنابل باللام ·

٨ — (خُنبُرة) هي القنبرة نفسها غير ان الأتراك قلبوا قافها خاء · وأكثر مايلفظونها خمبره بالميم واستعمالها مقصورعليهم الا قليلاً · وهذه الثلاثة (قُنبلة) و(قُنبرة) و(خُنبرة) هي التي نريد أن نتعرّف اصلها ونكشف عن منبتها في بحثنا هذا ·

٩ — (هاون) كلمة فارسية بمعنى الُجرن يُدقّ به الأشياء ثم استعمل عند الأتراك العثمانيين بمعنى المِدفع يكون على شكل خاص · ولم نعثر على نصٍ يدل على ان اسم هاون يطلق على القنبلة نفسها الا نصّاً جاء فيه (ان العرب المحصورين في بعض مدن الأندلس أطلقوا على (الفونس) ملك كاستيل بعض هواوين من مدافع صوتها كالرعد) وذلك سنة ١٣٤٣ م (٧٤٤ ﻫ) فقوله (هواوين من مدافع) يُشعر بأن كلمة هواوين تستعمل أحياناً في معنى القنابر · وهذا كالجلاهق استعمله العرب اسماً للقوس وللسهم الذي يُرمى عن القوس أيضاً ·

١٠ — (قزان) لفظ تركي بمعنى المِلقين (وهي القِدر الكبيرة) وكان القزان يطلق على نوع من المدافع المستعملة في عهد الانكشارية وأخذوا منذ الحرب الكبرى الماضية يستعملونه في نوع من القنابل على شكل خاص تُلقيه المدافع والطيارات فيدمر ويخرب ومن تلك القزانات القزان المشؤوم الذي أُلقي بالطيارة على دمشق في اوائل هذه الحرب فرآه أهلها وكانوا يسمونه قزانا ·

هذه هي الفاظ المقذوفات العشرة التي دخلت في لغتنا العربية ·

ويمكن أن يُرتَّب تاريخ استعمالها بحسب ترتيب تاريخ الآلات التي تقذفها ·

(١) فالقوس والجلاهق والمنجنيق وما أشبهها من آلات القتال القديمة كالمقلاع كانت الأشياء المرميّة بها تسمى المرامي والقذائف ·

(٢) ثم ظهرت الأنابيب المعدنية التي استخدمت في اطلاق النار اليونانية فكانت المرميات بها تسمى الكرة النارية · والكرات النارية · والسلاح الناري ·

(٣) حتى اخترع المدفع في القرن الثامن للهجرة فكانت تسمى المرميات به باسم (بومبه) الافرنسية وبالأسماء الدخيلة الأخرى مثل (كُلّه) و (قُنبرة) و (خُنبرة) .

(٤) ثم ظهرت مدافع الزمن الحاضر وطياراته العجيبة فأخذت تسمى المرميّات بها (شرابنل) و (قزّان) الخ . أو يقال ان (شرابنل) و (قزّان) هما اسمان لنوع منها . أما الاسم العام الشامل فهو ما زال الى اليوم قُنبلة وقنابل . بل إن آخر خبر لغوي عن هذه القنابل انهم اشتقوا من لفظها اسم فاعل وقالوا (مُقنبلة) ويجمعونها على (مقنبلات) ويريدون بها الطيارات التي تقذف القنابل . وأعجب من ذاك الطيارة الأوتوماتيكية والمجنّحة التي ما زال الناس لا يعلمون ان كانت تحمل القنبلة أو هي القنبلة نفسها تتشظّى في الفضاء . كما لا يُعلم إن كانت الصاروخة هي هذه القنبلة الطائرة نفسها أو انها شيء آخر ! وقد أصبحنا معشر العرب مضطرين الى قبول كلمات قنبلة طائرة وصاروخة ومجنَّحة واستعمالها كما هي من دون ان يكون لنا اختيار أو رأي في هذه التسمية ما دمنا نجهل شكل هذه المرميّات . وكنه أمرها . وقد قال بعض كتبة الافرنج :

ان الاسم العالمي للقنبلة الطائرة هو (روبو) ومعنى (روبو) الذكاء قال : وأول ما تلقّى الأوربيون خبر هذه القنبلة الطائرة أن كاتبًا من أمة (التشيك) اسمه (كاريل كابيك) ألّف مصنفًا تخيّل فيه مستقبلاً للبشر تقوم فيه آلات ميكانيكية مقام أشخاص البشر . وتعمل أعمال البشر : من ذلك طائرة تطير وتعمل عملها بنفسها من دون رُبّان يُسيّرها . ومات كاريل هذا سنة ١٩٣٨ م أي قبل الحرب الحاضرة بسنة . وقد سمى طائرته التي تخيلها باسم من لغته التشيكية وهو (روسور) أي الذكاء (مشيراً بهذه التسمية الى ذكائه أو ذكاء الشخص الميكانيكي الذي يسيّر الطائرة) ثم شاع اسم (روسور) في العالم الأوروبي محوّلاً الى (روبو) أي ذكاء . وذلك بعد ان ظهرت في الوجود الطائرة الألمانية العجيبة التي تفنن كتابنا او مترجمونا في اختراع اسم لها ما بين قنبلة طائرة . أو مجنحة . أو صاروخة .. وقد كانت متخيلة وهمية فأصبحت واقعة حقيقية .

* * *

نرجع الى بحث القنبلة : قد يقال : أما كون (خنبرة) لفظاً تركي فهذا مشهور لكننا رأيناك قرنتَ بها كلمتي (قنبلة) و (قنبرة) وجعلتهما من معدنٍ واحد . وجوابي على هذا أبسطه فيما يلي : سمعت بعضهم يقول إن لفظ (قنبلة) عربيٌ الأصل وان الاستعمال نقله الى معنى كرة المدفع . وأنا أستبعد هذا القول كل البعد وأعتقد ان الأمر فيه شُبّهِ على قائله :

القَنْبَل كجعفر والقَنْبَلَة كزَلْزَلة هما في اللغة العربية بمعنى الجماعة من الفرسان فكما كان العرب يقولون جريدة من الخيل كانوا يقولون قَنْبَلة من الخيل ومنه قول (الطرمّاح ابن حكيم) المتوفى سنة ٧٠ هـ :

وما مُنعت دار ولا عزّ أهلها من النـاس الا بالقنا والقنابل

وبقي شعراء العرب في الاسلام يستعملون القنابل بهذا المعنى من ذلك قول المتنبي :

هزمت مكارمهُ المكارمَ كلها حتى كأنَّ المكرماتِ قنابل

وقال الثعالبي يصف حرباً : (وتلاصقت القنا والقنابل . وتعانقت الصوارم والمناصل) ويريد الثعالبي بتلاصق القنا والقنابل . أن الزحام اشتد في هذه المعركة بحيث كانت (القنا) أي الرماح و (القنابل) أي طوائف الخيل بفرسانها متلازمة متلاصقة . ولا يخفى ان الطعن بالرمح يستدعي وجود فرجة بين الطاعن والمطعون فاذا كان الرمح بيد الطاعن لصيق الفارس المراد طعنه لا يمكن استعماله ولا تحريك اليد به . وفي عصر الثعالبي المتوفى سنة ٤٢٩ هـ كانت مراعاة المحاسين البديعية قائمة على ساق وقدم فلا غرو اذا راعاها اكبر أدباء عصره الثعالبي واستعمل الجناس في القنا والقنابل . وقد ذكّره بهذا الاستعمال أيضاً ما بين كلمتي القنا والقنابل من الودّ القديم والألفة المسجلة في قول الطرماح :

وما مُنعت دار ولا عزّ أهلها من الناس الا بالقَنا والقنابل

ومن الغريب ان بعض فضلاء العصر يرى ان القنابل في قول الثعالبي (وتلاصقت القنا والقنابل) قد أريد بها ما نريده اليوم بقذائف المدافع . فقال ذلك الفاضل

ما نصه (وليس المراد بالقنابل في قول الثعالبي جمع القَنْبَل بمعنى الطائفة من الخيل لأن بقية كلام الثعالبي يدل على تعانق آلات الحرب من صوارم ومناصل وقنا) انتهى . يعني وطائفة الخيل ليست من آلات الحرب فلا تكون مرادة للثعالبي بكلمة القنابل بل المراد بها الكلل المحشوة بارودًا فهي التي كانت تعانق القنا . أقول لكن في هذا التعانق تباعد لعمري ؛ وهل كانت كلمة (قنابل) بمعنى الكلل شائعةً في عهد الثعالبي المتوفى سنة ٤٢٩ هـ إلى حدّ أن تَدْخُلَ في لغة الأدب ؟ بل هل يدل التاريخ على ان القنابل كانت اخترعت بين القرنين الرابع والخامس للهجرة . وهو الزمن الذي عاش فيه الثعالبي . وهذا المستشرق (دوزي) في معجمه الذي جمع فيه الكلمات العربية غير القاموسية يقول (ان كلمة مدفع ظهرت لأول مرة في مصر سنة ٧٩٢ للهجرة) . وذكر (سيبستيان) ما يستفاد منه ان الرواة اجمعوا على ان اختراع المدفع حدث عام ١٣٨٠ للميلاد الموافق لعام ٧٨٢ هـ أي بعد زمن الثعالبي بأكثر من ثلاثمائة سنة . فاذا كان المدفع ولد بعد الثعالبي فتكون القنبلة ابنته ولدت بعد أبيها بطبيعة الحال . ثم ان كلمة (القنابر) التي تحوّل لفظها الى (قنابل) باللام لعل أول ما سمعت من السيد خليل المرادي فالها في تاريخه في ترجمة محمد بك ابي الذهب وهذه عبارته (حاصر ابو الذهب القلعة الدمشقية ونصب لها الأطواب من المرج الأخضر وضربها بالقنابر) اه وكان ذلك في سنة ١١٨٥ هـ (١٧٧١ م) أي منذ مائة وخمس وسبعين سنة فكلمة (قُنبلة وقنابل) لا يعرفها أدباء العرب في القرون الوسطى بمعنى كلة المدفع وكل ما في الأمر ان لفظها يشبه لفظ القَنْبَلة العربية التي معناها جماعة الخيل .

يتبع :　　　　　　　　　　　　　　　　　　　　　　　　المغربي

القُوقي هو الفُوقي Le Phoque et le Morse

١ً — تعريفه ووصفه على ما ذكره التوحيدي

القوقي ، على ماعرّفه التوحيدي [1] : « حوت في البحر ، ضعيف الجسد ، قليل القوة ، اذا جاع خرج الى الشاطئ ، فاستلقى على الرمل ، فأقام شوكةً في رأسه ، فاذا نظر اليه حوت آخر ، جاء مسرعاً ليأكله ، يظن انه ميت ، فيدخل بطنه تلك الشوكة فيقتله بها ويأكله .

« واذا ألقى الملاّح صنارته ، ولقيت ذلك الحوت ، رمى مكانه بتلك الشوكة الحادّة يد الملاح ، فتخدر ، ويطرح اداة صيده . فاذا رأى الحوت ان الصنارة داخلت اضلاعه ، غلبت الظلمة على بصره ومات من ساعته .

وفي جلد هذا الحوت عجب ، وهو ان الصاعقة لا تدنو من جلده . والملاحون يغطون سفنهم به عندما يتبينون الصواعق ووقوع المطر . ويدنو هذا الحوت الى طرف مقدّم السفينة ، فيمسك بطرفه اللطيف ؛ فلو اجتمعت الرياح كلها بأشدّ هبوبها لم تستطع تحريك تلك السفينة . فمن اخذ من جلدها ، وسمّر به شراع السفينة ، لم يخفْ على سفينته غرقاً » اهـ .

٢ً — تعريفه ووصفه على ما ذكره القزويني والدميري

قال الدميري في حياة الحيوان الكبرى [2] ما هذا نقله بحروفه : « قوقي » ، بضم القاف الأولى ، وكسر الثانية : صنف من السمك عجيب جداً ، على رأسه شوكة قوية يضرب بهـا .

(١) كتاب الامتاع والمؤانسة تأليف أبي حيان التوحيدي . صححه وضبطه وشرح غريبه أحمد أمين وأحمد الزين . الجزء الأول القاهرة مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ص ١٧٦ .

(٢) هذا الكتاب طبع مراراً عديدة فيؤخذ منها الطبعة التي تقع تحت اليد أياً كانت .

حكى الملاحون ان هذه السمكة ، اذا جاعت ، رمت نفسها الى شيء من الحيوان ، فيبتلعها ، ثم انها تضرب بشوكتها أحشاءه حتى تهلكه ، وربما تخرج من شق بطنه تتغذى منه ، هي وغيرها . واذا قصدها قاصد في الماء ، تضربه بالشوكة ، فيهلك . ولعلها تضرب السفينة بالشوكة ، فتخرقها ، وتغرق اهلها ، وتأكل منهم . والملاحون يعرفون ذلك ، فيجعلون على السفينة جلد تلك السمكة ، فان شوكتها لا تعمل فيه . كذا قاله القزويني » اهـ .

٣ — الصحيح من كلام هؤلاء العلماء الثلاثة

كلام هؤلاء الثلاثة ، أي كلام التوحيدي والقزويني والدميري يُشابِه بعضه بعضاً . إلا ان فيه مبالغات تخرج الحقيقة عن خالها ، اما الذي يُسلم به البصراء في علم الحيوان في هذا العصر ، فهو : ان هذا الحيوان يخرج الى الشاطئ طلباً للهواء أو لإرضاع ولده أو ولديه ، فيستلقي على الرمل لهذه الغاية ، لا تماوتاً منه طلباً للرزق وله شوكة هي نابان بارزتان من فكه الأعلى ، يفتك بها بمن يريد قتله ، في الماء أو خارجاً عنه — وليس فيه قوة كهربية يخدر بها من يقبض عليه بصنارة او بغير صنارة — وجلده ثخين ، قوي ، صلب ، يؤخذ لأمور وقد يؤخذ جلده ليغطي به الجانب الضعيف من السفينة الذي يتعرض للخطر او للغرق ، لكن لا يغطى بها جسم السفينة كلها ، لأن سفينة البحار تكون كبيرة وعالية .

وليس في البحار حوت او حيوان يتمكن من ابتلاع هذا الحيوان الضخم العظيم النابين ، اذ هذا الأمر يعد من قبيل المحال . فما قاله بعضهم لا يوافق الحقيقة ، لأي حيّ من أحياء البحار .

٤ — من أين جاءتنا الكلمة الأصلية أي الفوقي

الفوقيّ بالفاء المضمومة يليها واو ساكنة ، فقاف مكسورة ، فياء مشددة في الآخر ، كلمة يونانية هي Phôkè وهي اسم صوت يقع على جماعة يُشابه بعضها بعضاً

وهي من القوازب[١] التي تعيش في البحار المعتدلة والباردة ، وترى بنوع خاص في المياه الباردة الجامدة . والكلمة مأخوذة من معنى (الفواق) لأنها تسمع صوتاً كالفواق، اذا سارت في البر او في البحر ، ولهذا يصح ان ينسب اسمه الى الفواق كغراب فيقال فواقي .

لكن العرب استعملوا القوقي لنوع خاص من هذه العشيرة أي بما يقابله في الفرنسية Morse لأن لهذا الضرب فقط[٢] ناباً بارزة دون سائر الضروب .

٥ – كيف نقلت الفوقي بالفاء في الأول الى القوقي بقافين

يتصرف العرب في الألفاظ الأعجمية كما يشاؤون ، كما يتصرف الأجانب في كلمنا العربية كما يهوون ، وكثيراً ما يجعل السلف الفاء قافاً . فقد سموا الملك الرومي فوقا Phocas : قوقا . وقالوا : الدنانير القوقية وهي الفوقية . — وقال الأطباء الأقدمون : قرانيطس ، وهي فرانيطس بالفاء أي الهذيان في المرض — وقال النباتيون : قوقس بقافين وهي فُوقُس ، اي بفاء وواو وقاف مضمومة وسين في الآخر . وقد جمعنا من هذه الكلم شيئاً كثاراً .

وقد تصرفوا مثل هذا التصرف في الألفاظ العربية المحضة . فقد قالوا : الزحاليق والزحاليف ، ونقز الظبي ونفز ، وصلقع علاوته وصلفعها ، وعقار النخل وعفارها . والنقاض والنفاض والحسقل والحسفل ، كزبرج ، الى ما لا عدد له لكثرته .

٦ – أيقال : القوقي بالصورة المصحفة أم[٣] الفوقي على الأصل

يخير الكاتب في ما يقول . ففي كتب العلم يفضل النطق بالكلمة على أصلها . وفي كتب الأدب ينطق بها على ما صارت اليه على يراع الكتبة . واذا استعملت

(١) القوازب جمع قازب وهو التاجر الحريص مرّة في البحر ومرّة في البر ، ويراد به في علم الحيوان: الحي الذي يطلب رزقه مرة في البحر ومرة في البر ، أي هو الحيوان الذي سماه بعضهم البرمائي . والقازب من أوضاع مجمع فؤاد الأول للغة العربية . وهو وضع أصح من قولهم : برمائي والعرب لم تعرف هذه الكلمة الأخيرة . (٢) تقول العرب : فلان يسير على رجله إلى بيته كما قد يقولون: يسير على رجليه . (٣) عند الأستاذ المحامي عباس العزاوي الشهير نسخة مجوّدة من هذا الكتاب والكلمة تقرأ فيه بفاءين أو بقافين غير منقوطتين ، لكن لا بميم وفاء ولا بميم وتاء ولا يشبه هذا الحرف غير المنقوط . فالظاهر أن جهل حقيقة هذا اللفظ اعتاص على كثيرين منذ قديم الزمن .

بوجه ، يحسن ان ينبه عليها بالصورة الثانية حتى لا يضلّ الكاتب في كلامه والأحسن ان يستعمل القوقي بمعنى Morse والفوقي بفاء وقاف بمعنى Phoque .

٧ً — لبس القوقي الحريش

ظن بعضهم ان القوقي هو حريش البحر أى Haryal ولا يمكن ان يكون هذا ؛ لأن طول ناب الحريش ثلاثة امتار ، فأي حيوان يستطيع ان يحوي في بطنه حيّاً ، وطول سنه ثلاثة أمتار ؟

٨ً — على أي الحيتان أُطلق اسم القوقي ؟

اطلق اسم القوقي على الفواقية التي ذكرناها . وعلى سمكة اسمها الفرنسي Aiguillat وهو الذي سماه بعضهم ، ابا مهاز وأبا منخاس وبلسان العلم Spinax Acanthias وعرفه أيضاً الفرنسيون بما معناه كلب البحر ، مع ان هذا الاسم قد وقع على جنس آخر من السمك الذي على زعنفة ظهره شوكة طويلة غضروفية هي المعروفة بالمهاز والمنخاس وهي قوية جداً . ويؤخذ من كبده دهن يستعمل لتطرية الجلود ودبغها . وللمداواة من به داء المفاصل . وجلده حرش يتخذ لصقل الخشب وبعض الأدوات .

٩ً — ورود القُوقي مصحفة في الكتب

وردت هذه الكلمة مصحفة في جميع الكتب على ما رأيت . وآخر تصحيف وجدناه لها هو في كتاب الامتاع والمؤانسة ١ : ١٧٦ على ما ذكرناه في صدر هذا المقال . وفي جميع كتب الحيوان للقزويني والدميري . ولم يذكرها معجم سوى محيط المحيط ومن نقل عنه . ولم يهتدِ أحدهم الى الصحيح ، إلا من بعد ان ذكرناها لصاحب معجم الحيوان ، وهو الهادي الى الصواب .

(بغداد) الأب أنستاس ماري الكرملي

الطريقة الرمزية في الفلسفة العربية

- ٢ -

المثال الثاني – قصة حي بن يقظان : وخلاصة هذه القصة ان حي بن يقظان ولد في جزيرة من جزائر الهند تحت خط الاستواء ، فمنهم من قال انه ولد من غير ام ولا اب ، ومنهم من قال انه ولد من اخت ملك وأب قريب لها يدعى يقظان . وسواء أقبلنا احد هذين الرأيين أم انكرناهما معاً ، فان حي بن يقظان قد نشأ في جزيرته وحيداً ، منعزلاً عن الناس ، في حضن ظبية ، فتربى ونما واغتذى بلبنها وتدرج في المشي . وما زال معها يحكي اصوات الظباء في الاستدعاء والاستئلاف ، ويقلد اصوات الطير وسائر انواع الحيوانات ، ويهتدي الى مثل افعالها ، حتى نما وترعرع ، واستطاع بالملاحظة والحدس والتأمل ان يحصل على غذائه ، وان يكشف بنفسه مذهباً فلسفياً يوضح به سائر الحقائق . ولما بلغ هذه الحال تعرف بآسال ، وهو رجل صالح نشأ بجزيرة قريبة من جزيرة حي بن يقظان ، ثم جاء الى تلك الجزيرة طلباً للعزلة ، فوقع بصره على حي بن يقظان ، ولم يشك انه من المنقطعين عن الدنيا . فلما علم بحقيقة امره اخذ يعلمه الكلام ، فاطلع كل منهما على آراء صاحبه ومعتقداته وقايسا بينها ، فعلما ان المعتقدات الدينية ليست الا صورة محسوسة للحقائق الفلسفية . فالفيلسوف يتوصل الى ادراك الحقائق الالهية بعقله والهامه الطبيعي . اما العامي فهو بحاجة الى من يرقى به الى هذه المبادئ العالية عن طريق الحس والخيال . فرثى حي بن يقظان لحال العامة ، واراد السفر الى جزيرة آسال ليهدي أهلها عن طريق العقل . ومع ان آسال كان يشك في نجاح رفيقه ، فقد رضي بالذهاب معه ، فانتقلا معاً الى تلك الجزيرة ، واخذ حي يعلم الناس ويرشدهم بالعقل ، فأعيته في أمرهم الحيلة ، فأقلع عن ذلك وترك العامة في امان الاعتقاد ، وقفل راجعاً مع رفيقه الى جزيرتهما ، وانصرفا فيها الى التأمل والرياضة حتى أدركهما الموت .

التأويل : تلك هي قصة حي بن يقظان أعطينا عنها صورة موجزة ، بل ناقصة ، لأننا اهملنا كثيراً من النظريات التي اشتملت عليها في أصل المعرفة وقيمتها والاكتساب والتربية . والناس يرون ان هذه القصة حلم أو خيال . ولكن من الحق علينا ان نلاحظ شيئين : احدهما ان ابن الطفيل اراد بقصته هذه ان يوفق بين الحكمة والشريعة ، والثاني انه رمز فيها الى ثلاثة أمور : سلامان وآسال وحي بن يقظان ، فسلامان يمثل الرجل العامي ، وآسال يمثل الرجل الصالح الناشئ في حضن الشريعة ، وحي بن يقظان يمثل الفيلسوف الذي ادرك الحقيقة عن طريق العقل . ومعنى حي بن يقظان هو حلول العقل الفعال في الانسان ، وتعرفه بآسال واتفاقهما معاً يدل على اتفاق الحكمة والشريعة ، وإخفاقه في دعوة العامة الى الحق يدل على ان جمهورهم بعيد عن فهم الحقيقة الخالصة ، لأنهم فطروا على البلادة والنقص وسوء الرأي ، وضعف العزم ، ولأنهم كالأنعام لا بل أضل سبيلاً .

ويظهر ان ابن الطفيل قد اقتبس اسماء قصته هذه من ابن سينا ، فقال في مقدمة كتابه انه « واصف قصة حي بن يقظان وأبسال وسلامان الذين سماهم الشيخ الرئيس ابو علي (ابن سينا) »[1] . واذا رجعنا الى كتب ابن سينا نجد فيها رسالة صغيرة اسمها حي بن يقظان سلك فيها ابن سينا في بيان مذهبه في العقل الانساني مسلك الرمز . تبين لنا عروج النفس من عالم العناصر ، واجتيازها عالم الطبيعة والنفوس والعقول ، حتى تبلغ عرش الواحد القديم . ويظهر حي بن يقظان في هذه الرسالة شيخاً بهياً ، ولكنه « في طراءة العز ، لم يهن منه عظم ، ولا تضعضع له ركن ، وما عليه من المشيب الا رواء من يشيب[2] » .

ومهما يكن من أمر فان الفرق بين رسالة ابن سينا وقصة ابن الطفيل عظيم جداً ، لأن حي بن يقظان الذي ذكره ابن سينا ليس إلا رمزاً بسيطاً جافاً للعقل الفعال . اما شخص حي بن يقظان الذي جعله ابن الطفيل محور قصته فقد اعطاه صورة جديدة لم تخطر لابن سينا على بال .

---

(١) ابن الطفيل ، حي بن يقظان ، طبعة مكتب النشر العربي ، ص ٣٢ . (٢) جامع البدائع : قصة حي بن يقظان ، ص ــــ ٩٢ ، الطبعة الأولى ، بمطبعة السعادة ، مصر ١٩١٧

لم تكن قصة حي بن يقظان عند ابن الطفيل رواية خيالية ، بل كانت وسيلة رمزية للنقد الاجتماعي من طرف خفي . فأراد واضعها ان يشرح بها احوال عصره الاجتماعية ، ويبين انحطاط الأخلاق وتفسخ العقائد الدينية . وكان يعتقد كغيره من فلاسفة العرب انه يمكن مكاشفة العامة بشيء من الحقائق الفلسفية ، ولكن على شريطة ان تعرض عليهم بشكل خفي مستتر وراء الرموز والأمثال . فالعامي لا يدرك الحق الا عن طريق الخيال ، ولا يفهم المعاني المجردة الا اذا تجلّت أمامه بثوب حسي ورمز فيها الى المعاني بالأشخاص ، والى الاحكام بالأفعال ، واستدل على الغائب بالحاضر وعلى المعقول بالمحسوس .

وقد تصفح حي بن يقظان طبقات الناس ، فرأى أن كل حزب بما لديهم فرحون ، قد اتخذوا الههم هواهم ، ومعبودهم شهواتهم ، وتهالكوا في جمع حطام الدنيا ، الهاهم التكاثر ، لا تنجع فيهم الموعظة ، ولا تعمل فيهم الكلمة الحسنة . غاية كل واحد منهم تقتصر على مال يجمعه ، أو لذة ينالها ، او شهوة يقضيها ، او غيظ يتشفى به ، وجاه يحرزه ، او عمل من اعمال الشرع يتزين به . عند ذلك ادرك السبب في اعراض الرسل عن المكاشفة ، والتجائهم الى الرموز والأمثال لتقريب الحقائق من أذهان الجماهير . وقد فرق ابن الطفيل في أول كتابه بين ادراك اهل الولاية وادراك اهل النظر ، وعنى بإدراك أهل النظر ما يدركونه مما بعد الطبيعة كأهل الولاية ولكن مع زيادة وضوح وعظيم التذاذ . وقال ان حال الناظرين الذين لم يصلوا الى طور الولاية أشبه شيء بحال الأعمى الذي يكون جيد الفطرة ، قوي الحدس ، ثابت الحفظ مسدّد الخاطر ، يعرف كل شيء بغير دليل ، ولكنه اذا فتح بصره وحدثت له الرؤية البصرية شاهد الأشياء نفسها وادركها وحصل له مع ادراكه هذا امران عظيمان أحدهما تابع للآخر : وهما زيادة الوضوح والانبلاج ، واللذة العظيمة . وما يراه أصحاب المشاهدة والذوق والحضور في طور الولاية ليس مما يمكن اثباته على حقيقة أمره في كتاب . أما ما يراه أهل النظر فشيء يحتمل ان يوضع في الكتب وتتصرف به العبارات ، ولكنه « اعدم

من الكبريت الأحمر .. لأنه من الغرابة في حد لا يظفر باليسير منه الا الفرد بعد الفرد ، ومن ظفر بشيء منه لم يكلم الناس به الا رمزاً [١] » . والسبب في ذلك ان عامة الناس لا يدركون الحقائق المعراة من ثوبها الرمزي ، لأن نفوسهم ليست مؤيدة الصفاء بشدة الحدس ، فما هم من أهل الولاية ، ولا هم من أهل النظر ، حتى يرتقوا الى ادراك الحقائق المطلقة ، ولكنهم اهل الخبر يصدقون ما يقال لهم تقليداً . وقد ادرك ابن رشد هذا الأمر أيضاً فقال ان الناس يتفاضلون في التصديق . وهم ثلاثة رجال : رجل يصدق بالأقوال الخطابية ويفهم الحق بالرموز والأمثال ، وهو أوضع الثلاثة جميعاً ، ورجل يصدق بالأقوال الجدلية اذ ليس في طباعه اكثر من ذلك ، وهو أسمى من الأول وأنبل ، ورجل ثالث لا يحتاج الى الأقاويل الخطابية او الجدلية ، بل يصدق بالبرهان والمنطق ، وهو أشرف الرجال وأرفعهم [٢] .

فاذا سأل سائل مثلاً أين الله ، اجاب العامي : هو في السماء . وهذا الجواب على ما فيه من نقص يكفي لصاحب الأقوال الخطابية الذي لا يدرك معنى التأويل . أما صاحب الأقوال الجدلية ، فانه يدرك ما في جواب العامي من تجسيم ، ويعلم انه ليس لذاته تعالى مكان محدود ، فمن اشار اليه فقد حده ، ومن حده فقد عده ، ويجيب عن هذا السؤال بقوله : هو في كل مكان . وأما الفيلسوف ، اي صاحب البرهان الذي هو من أهل التأويل اليقيني ، فانه لا يقنع بالأقوال الخطابية والجدلية ، ويجد ان القول بوجود الله في كل مكان لا يخلو من الاضافة والمقارنة والتضمين والتجزيء ، فيقول في الجواب عن سؤالنا هذا ، ان الله ليس في مكان ، بل هو لذاته وبذاته .

٤ — غاية الطريقة الرمزية

ينتج من دراسة الأمثلة السابقة وتأويلها ان الغاية التي جرى اليها فلاسفة العرب في طريقتهم الرمزية هي استدراج العامي شيئاً فشيئاً الى معرفة الأشياء

(١) ابن الطفيل ، حي بن يقظان ، طبعة مكتب النشر العربي ، ص ١٢ . (٢) ابن رشد ، فصل المقال ، فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال ، القاهرة ١٩١٠ ، ص ٢١

الخفية . ولا يجوز ان تعرض الحقائق المطلقة عليه معراة من كل نقاب رمزي . فان الأعشى لا يستطيع ان يحدق الى نور الشمس ، حتى لقد قال الغزالي في ذلك : وكما يجب صون من لا يحسن السباحة عن مزالق الشطوط ، يجب صون الخلق عن مطالعة كتب الفلاسفة ، وكما يجب صون الصبيان عن مس الحيات ، يجب صون الاسماع عن تلك الكلمات . وقال ابن رشد : وهذا التأويل ليس ينبغي ان يصرح به لأهل الجدل فضلاً عن العامة ، ومتى صرح بشيء من هذه التأويلات لمن هو من غير أهلها ، أفضى ذلك بالمصرح له ، وبالمصرح الى الكفر[1] .

والحقيقة المعراة من ثوبها الرمزي لا يدركها إلا أهل الباطن ، أما اهل الظاهر فلا يدركون صريح الحق الا على المجاز . واكثر ادراكهم انما هو رموز واشارات لا ينتفع بها . واعلى درجة في الايمان عند أهل الظاهر هي الأخذ بما جاء به الشرع على ظاهره ، لأنه جاء بلسان عربي مبين لا رمز فيه ولا لغز ولا باطن ولا ايماء بشيء مما ينحله الفلاسفة . اضف الى ذلك ان العدول عن الظاهر الى الباطن مع الجمهور ، ونشر الحقائق الخفية بينهم ، قد يؤدي الى كثير من المخاطر الدينية والأخلاقية . وقد ذكر ابن سينا في مقدمة منطق الشرقيين انه انما جمع هذا الكتاب ليظهره لنفسه ، يعني الذين يقومون منه مقام نفسه ، قال : « وأما العامة من مزاولي هذا الشأن فقد أعطيناهم في كتاب الشفاء ما هو كثير لهم وفوق حاجتهم[2] » .

وقال أيضاً في نهاية الاشارات : « ايها الأخ اني قد محضت لك في هذه الاشارات عن زبدة الحق . والقمتك قفى الحكم في لطائف الكلم ، فصنه عن الجاهلين والمتبذلين . ومن لم يرزق الفطنة الوقادة والدربة والعادة ، وكان صغاه مع الغاغة ، او كان من ملحدة هؤلاء الفلاسفة ومن همجهم ، فان وجدت من تثق بنقاء سريرته ، واستقامة سيرته ، وبتوقفه عما يتسرع اليه الوسواس ، وبنظره الى الحق بعين الرضا والصدق ، فآته ما يسألك منه مدرجاً مجزأ مفرقاً مستفرس مما تسلفه لما تستقبله ، وعاهده بالله وبايمان لا مخارج لها ليجري فيما يأتيه مجراك ، متأسياً بك . فان اذعت هذا العلم او اضعته فالله بيني وبينك وكفى بالله وكيلاً[3] » .

(١) ابن رشد ، المصدر نفسه ، ص ٢١ (٢) ابن سينا ، منطق المشرقيين ، القاهرة ١٩١٠ ، ص ٤ (٣) الاشارات ، من شرح نصير الدين الطوسي ، جزء ٣ ، ص ١٤٣ — ١٤٤

فأنت ترى ان ابن سينا لا يختلف في ذلك كثيراً عن الغزالي ، كلاهما يريد صون العامة عن الحقائق الفلسفية . ولكن الغزالي لا يريد صونهم عن مطالعة كتب الفلسفة الا اشفاقاً عليهم من الضلال ، وخوفاً عليهم من الكفر ، وانقاذاً لهم من حبائل الفلاسفة . اما ابن سينا فيريد ان يعطي العامة في كتبه المدرسية ما هو صالح لهم ، وان يصرف العلم الحقيقي عن المتبذلين الجاهلين الذين لم يرزقوا الفطنة الوقادة ، وان يضن بالحقائق المطلقة على غير أهلها ، لأن الفلسفة ليست من الأمور التي يمكن البحث فيها على قارعة الطريق ، بل الخلق لا يفهمون ما يقوله الفلاسفة . واكبر دليل على ذلك ما أصاب ابن رشد وغيره من الفلاسفة في محنهم ، فقد اتهم الغزالي الفلاسفة بالزندقة والمروق من الدين ، واتهم الناس ابن رشد بالكفر والضلال ومخالفة عقائد المؤمنين ، حتى قال فيه الحاج ابو الحسين بن جبير :

لم تلزم الرشد يا ابن رشد لما علا في الزمان جدك
وكنت في الدين ذا رياء ما هكذا كان فيه جدك

وقال ايضاً :

تفلسفوا وادعوا علوماً صاحبها في المعاد يشقى
واحتقروا الشرع وازدروه سفاهة منهم وحمقاً
اوسعتهم لعنة وخزياً وقلت بعداً لهم وسحقاً
فابق لدين الاله ذخراً فانه ما بقيت يبقى

فلا غرو اذا اتقى الفلاسفة غضب العامة بالباس الحقائق ثوباً رمزياً ، فقد كانت الطريقة الرمزية واسطة لنشر الحقائق الفلسفية واذاعتها بين الخلق ، وكان صاحب كتاب اخوان الصفا يورد في كتابه آيات القرآن واخبار الرسول وحكايات السلف مستشهداً بها ومستدرجاً قلوب الحمقى بواسطتها الى تعليم الفلسفة [1] . حتى ان الفلاسفة والمتصوفين كثيراً ما تعمدوا الغموض في كتبهم حرصاً منهم على جعلها بعيدة عن فهم العامة . فما قاله ابن العربي : لا راحة مع الخلق ، فارجع الى الحق ،

(١) الغزالي ، المنقذ من الضلال ، ص ١٠٣

فهو أولى بك . ان عاشرتهم على ما أنت عليه قتلوك » . وقال أيضاً في مقدمة كتاب شق الجيب : « ان هذه الرسالة فريدة في دقتها ، وهي من العلوم التي يجب سترها ، ولا يجوز كشفها إلا لأربابها » . فقد كان يخشى ان يؤول به الأمر كما آل بالحلاج الى القتل . لذلك كان يذكره كثيراً في شعره ، ويتخذه عبرة لنفسه .

فمن فهم الاشارة فليصنها والا سوف يقتل باللسان

وهذا يوضح لنا أيضاً تكتم الفلاسفة واتصافهم بحالتين : حالة عقلية لا يكاشفون فيها الا انفسهم ، وحالة ايمانية يتجملون بها امام العامة . حتى لقد قال الغزالي فيهم ان احدهم يقرأ القرآن ويحضر الجماعات والصلوات ، ويعظم الشريعة بلسانه ، ولكنه مع ذلك لا يترك شرب الخمر وأنواعاً من الفسق والفجور . واذا قيل له لم تصلي ، فربما يقول لرياضة الجسد ، ولعادة اهل البلد ، وحفظ المال والولد . وذكر ابن سينا في وصية له انه عاهد الله تعالى على كذا وكذا ، وان يعظم الأوضاع الشرعية ، ولا يقصر في العبادات الدينية ، ولا يشرب تلهياً ، بل تداوياً وتشافياً [1] .

وهذه الثنائية في سلوك الفلاسفة . لا تدل على تناقض في آرائهم ورياء في مذهبهم كما زعم (رينان [2]) ، بل تدل على اعتقادهم ان الحقيقة حقيقتان : حقيقة فلسفية وحقيقة دينية . وهاتان الحقيقتان ، كما بين (غوتيه [3]) ، متفقتان ، فالحقيقة الأولى تصلح لأصحاب المنطق والبرهان ، والثانية توافق اصحاب الحس والخيال ، فاذا وجد هناك تعارض بين الفلسفة والدين كان ذلك ظاهرياً . ولا بد من رفع هذا التعارض بطريقة التأويل .

ومعنى التأويل عندهم هو اخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقية الى الدلالة المجازية من غير ان يخل ذلك بعادة لسان العرب في التجوز من تسمية الشيء بشبيهه او سببه او لاحقه او مقارنه أو غير ذلك من الأشياء [4] . فهم يخاطبون العامة

(١) الغزالي ، المنقذ من الضلال ، ص ١٥٠ .

(٢) Renan . Averroès et l'Averroisme , Paris 1852 , p. 172

(٣) Gauthier (Léon)-La théorie d'Ibn- Roschd (Averroès) sur les rapports de la religion et de la philosophie.Paris Leroux 1909

(٤) ابن رشد ، فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال ، – القاهرة ١٩١٠ ص ٨

بتمثيل الحقائق الفلسفية المجردة برموز حسية ، ويفسرون الرموز الحسية التي جاءت في الشريعة على زعمهم بطريقة التأويل البرهاني . ويعتقدون ان الله لم يخاطب الخلق الا على قدر عقولهم ، وان السبب في ورود الظاهر والباطن في الشرع هو اختلاف فطر الناس وتباين قرائحهم في التصديق . وليس يجب ان يعلم بالباطن من ليس من اهل العلم به ، ولا يقدر على فهمه ، بل هناك امور لا ينبغي ان يعلم بحقيقتها جميع الناس . فما قاله ابن رشد : وأما الأشياء التي لخفائها لا تعلم الا بالبرهان ، فقد تلطف الله فيها لعباده الذين لا سبيل لهم الى البرهان بأن ضرب لهم امثالها ، واشباهها ، ودعاهم الى التصديق بتلك الأمثال ، قال : وهذا هو السبب في انقسام الشرع الى ظاهر وباطن ، فان الظاهر هو تلك الأمثال المضروبة لتلك المعاني ، والباطن هو تلك المعاني التي لا تنجلي إلا لأهل البرهان [1] .

٥ - نتيجة

ينتج مما تقدم ان للطريقة الرمزية التي سلكها فلاسفة العرب شكلين مختلفين :

أحدهما مشتمل على تمثيل الحقائق الفلسفية المجردة برموز حسية . وهو انتقال من المعقول الى المحسوس . فاذا أراد الفيلسوف ان يودع الحقيقة أهل العلم والبرهان ، سلك طريق الايضاح اليقيني ، ولكنه اذا اراد ان يذيعها بين العامة ، ألبسها ثوبا رمزياً وصورها بالأمثال .

والثاني مشتمل على تفسير الرموز الحسية التي وردت في الشرع بطريق التأويل البرهاني . وهو عكس الشكل الأول ، لأنه ارتقاء من المحسوس الى المعقول .

واختلاف هذين الشكلين لا يدل على اختلاف الحقيقة ، بل الحق واحد ، لا تختلف ماهيته باختلاف مظاهره . نعم ان الفكر في الشكل الأول يهبط من العقل الى الطبيعة ، ويرتقي في الشكل الثاني من الطبيعة الى العقل ، الا انه في كلا الحالين يقطع طريقاً واحدة ، في جهتين مختلفتين ، كل جهة منهما متممة للأخرى . ونحن لا نرجح احداهما على الأخرى الا بحسب الغاية التي نريد الوصول اليها .

---

(١) ابن رشد ، المصدر نفسه ص ١٥ .

فليس هناك اذن حقيقتان مختلفتان احداهما دينية والثانية فلسفية ، بل هناك ظاهرتان لحقيقة واحدة ، احداهما رمزية نسبية ، والثانية وجودية مطلقة . وليس من الصعب على الحكيم ان يوفق بين هاتين الظاهرتين ، وأن يثبت انهما تتفجران من أصل واحد . هذا ما جرى اليه فلاسفة العرب في التوفيق بين الحكمة والشريعة . فالنبي على زعمهم يمثل الحقائق المجردة للخلق بلغة الحس والخيال ، فلا يكاشفهم الا بما يستطيعون ادراكه من الأمور المتخيلة ، والفيلسوف يفسر الأقاويل الدينية بالتأويل البرهاني . فكأن الوعد والوعيد والجنة والنار والعرش والاستواء ، وكل ما جاء به الشرع من الأمثال ، انما هو رموز حسية تدل على أمور روحانية .

وتفنن فلاسفة العرب في الطريقة الرمزية يدل على ميل العرب الى المجاز . فقد كانوا كلهم شعراء لا يتخاطبون الا بالأمثال والصور . وقد اكثروا من هذه الرموز والأمثال في القصص الأخلاقية والأشعار وكتب التصوف ، فجاءت أمثالهم ورموزهم مفعمة بالنقد الاجتماعي ، وكان لها أعظم الأثر في حياتنا الاجتماعية الحاضرة . ولكن هذه الرموز ضرورية للعامي لا للفيلسوف . لأن العامي يعيش بين الألوان والأشكال والأصوات ، فيتمتع بالمحسوسات دون المعقولات . اما الفيلسوف فيعيش في تخوم العالم العقلي ، فيرقى من الاعراض الى الجواهر ، ومن الصور الى المعاني ، ومن المحسوسات الى المعقولات .

وقد تؤدي الطريقة الرمزية الى نوع من التفكير سماه (ليبنتيز) بالتفكير الاعمى ، تنوب فيه الرموز عن المعاني وتصبح المفاهيم غامضة ، وينقلب الادراك الى توهم ، واليقين الى شك . نعم ان الرمز قد يسهل على الانسان عناء التفكير ، وقد يقتصد من قواه العقلية ، ولكنه قد يبعده في الوقت نفسه عن الحقيقة . فيصبح الكون عنده رمزاً للإله ، والإله رمزاً للكون ، وتنقلب الحقائق الموضوعية عنده الى تصورات مثالية شخصية . ومهما يكن من أمر فان الفلسفة الوجودية تريد ان تحطم هذه الرموز ، وان تكاشف الناس بالأمور على حقيقتها . ولا غرو فان العقل اذا انطلق من عقاله التقليدي والاجتماعي ، وتجرد من قيود الحس ، لم يجد حاجة في إدراك الحقيقة الى الرموز والأمثال .

جميل صليبا

رسالة الطرق

- ٩ -

تتمة حرف النون

المَنْصَف : نصف الطريق والمَنْصَف من الطريق ومن كل شيء وسطه والمنتصف الوسط من كل شيء ·

ويقال نصل الطريق من موضع كذا أي خرج · ونصل من بين الجبال نُصولاً ظهر وفي الحديث · مرت سحابة فقال تنصلت هذه تنصر بني كعب اي أقبلت من قولهم نصل علينا اذا خرج من طريق أو ظهر من وراء حجاب ويروى تَنَصَّبَت أي تقصد للمطر

وتقول ناعفت الطريق اي عارضته والمناعفة المعارضة من الرجلين في طريقين يريد احدهما سبق الآخر

النَعَامة الطريق وقيل المحجة الواضحة · وابن النعامة الطريق · قال الأزهري زعموا ان ابن النعامة من الطرق كأنه مركب النعامة من قوله وابن النعامة يوم ذلك مركبي · والنعامة العلم المرفوع في المفاوز ليهتدى به · وتنعّم الرجل مشى حافياً مشتق من النعامة التي هي الطريق وتَعَمَّت القوم وتنعمتهم طلبتهم ·

ويقال نَفَجَت بهم الطريق أي رمت بهم فجأة

ويقـال نفخت بهم الطريق رمت بهم بغتة من نفخت الريح اذا جاءت بغتة

ويقال طريق نافذ اي سالك والطريق النافذ الذي يسلك وليس بمسدود بين خاصة دون عامة يسلكونه · وطريق نافذ عام يسلكه كل احد وهذا الطريق ينفذ الى مكان كذا وكذا وقد نفذ ينفذ الى موضع كذا وفيه منفذ للقوم اي مجاز · وفيه مُنتَفَذ للقوم ·

النَفْض تبصر الطريق · ونَفَض الطريق نفضاً طهره من اللصوص والدعار · وخرج فلان نفيضة كسفينة اي نافضاً للطريق حافظاً له وهو مجاز ·

والنَّفَضَة الذين ينفضون الطريق واستنفض الطريق ·

النَفَق سَرَب في الأرض له مَخرَج من موضع آخر · وانتفق دخله وفي المثل · ضل دُرَيص نفقه · دريص تصغير درص بفتح الدال وكسرها مع سكون الراء وهو ولد اليربوع والفأرة والهرة · وهذا المثل يضرب لمن يعنى بأمره ويعد حجة لخصمه فينسى عند الحاجة · وفي القرآن الكريم فان استطعت ان تبتغي نفقًا في الأرض او سلماً في السماء · وجمعه أنفاق كسبب واسباب ·

النَقْب والنُقْب الطريق في الجبل · وقيل الطريق الضيق في الجبل قال الاعشى :

عهدي بهم في النَقْب قد سندوا تهدي صِعاب مطيهم ذُلُله [1]

والجمع نقاب وانقاب قال ابن ابي عاصية :

تطاول ليلي بالعراق ولم يكن عليّ بانقاب الحجاز يطول

وقيل في جمعه نِقَبة وقيل النقب الطريق بين الجبلين وفي الحديث انهم فزعوا من الطاعون فقال ارجوا ان لا يَطلع الينا نقابها قال ابن الأثير جمع نَقب وهو الطريق بين الجبلين اراد انه لا يطلع الينا من طرق المدينة فأضمر عن غير مذكور والمنقب والمنقبة كالنقب · والمنقب والنقاب الطريق في الغلظ قال عمرو بن الأيهم التغلبي :

وتراهن شُزَّبا كالسعالى يتطلعن من ثُغور النقاب [2]

يكون جمعًا ويكون واحداً والمنقبة الطريق الضيق بين دارين لا يستطاع سلوكه وقيل الطريق بين دارين كأنه نقب من هذه الى هذه وقيل هو الطريق التي تعلو انشاز الأرض · وقيل النقب

ويقال مررت على طريق فناقبني فيه فلان نقاباً اي لقيني على غير ميعاد ولا اعتماد

النقيضة الطريق في الجبل والجمع انقاض

النَقَل الطريق المختصر والمَنْقَل الطريق المختصر والطريق في الجبل قال الراجز :

(١) تقول عهدي بفلان وهو شاب أي ادركته فرأيته كذلك وعهدي به في موضع كذا أي معرفتي وسند في الجبل رقي تهدي تتقدم والصعب من الدواب نقيض الذلول وهو اللين صعاب جمع صعبة وذلل جمع ذلول يقال طريق ذلول وطرق ذلل أي موطأ سهل · (٢) شزبا جمع شازب وهو الضامر والسعالى جمع سِعلاة وهي الغول يتطلعن يطلعن · ويهجمن وثغور جمع ثغر وهو كل فرجة في جبل أو طريق ·

كلا ولا ثم انتعلنا المنقلا [1]

وكل طريق في الجبل نقيل وهذه يمانية وقيل النقيل الطريق النقم وسط الطريق وكأنه لغة في اللقم

وفي كنز الحفاظ والمخصص ركب متن المنقى اي الطريق وفي التاج المنقى الطريق ظاهره انه اسم لمطلق الطريق كما هو في التكملة ويقال هو طريق للعرب الى الشام كان في الجاهلية يسكنه اهل تهامة

نكب عن الطريق نكباً ونكوباً . ونكب نكباً ونكّب وتنكّب : عدل ونكّبه الطريق ونكّب به عدل وطريق ينكوب على غير قصد ومناكب الأرض قيل جبالها وقيل طرقها وقيل جوانبها وبها فسر قوله تعالى فامشوا في مناكبها

وطريق ينكور بتقديم الياء على النون : على غير قصد

نمق الطريق لقمه

الناملة السابلة

النّهج بفتح فسكون وبفتحتين الطريق البين اللاحب الواضح قال ابو كبير :

فأجزته بأفل تحسب أثره نهجاً ابان بذي فريغ مخرف [2]

والجمع نهجات ونُهُج ونُهوج قال ابو ذؤيب :

به رُجمات بينهن مخارم نهوج كلبّات الهجائن فيح [3]

والنّهج الطريق المستقيم والمنهج كمقعد والمنهاج كمفتاح الطريق البين اللاحب والمنهاج الطريق الواضح ومنهج الطريق ومنهاجه : وضحه

وطريق ناهجة وطرق نهجة واضحة ونهج الطريق سلكه وابانه وأوضحه تقول اعمل على ما نهجت لك . وأنهج الطريق وضح واستبان وصار نهجاً واضحاً بيناً قال يزيد بن الخذاق العبدي :

---

(١) العرب اذا أرادوا تقليل مدة فعل أو ظهور شيء خفي قالوا كان فعله كلا ولا وانتعل الرمضاء سافر فيها حافياً وانتعل ركب صلاب الأرض وحرارها وبعد هذا البيت :

فقلين منها ناقة وجملاً عبرانة وما طليا افتلا

قتلين قرنين مثلين عيرانة صلبة وماطل فحل كريم تنسب اليه الابل الماطلية (٢) تقدم في فريغ (٣) تقدم في خرم

ولقد أضاء لك الطريق وأنهجت سبلُ المكارم والهدى تُعدي [١]

واستنهج الطريق صار نهجاً وهو يستنهج سبيل فلان اي يسلك مسلكه وفي نظام الغريب النهج والمنهج الطريق وفي فقه اللغة المنهج وسط الطريق ومعظمه

ويقال طريق نَهرَج كجعفر : اي واسع

نِهاض الطرق بالكسر صعدها يصعد فيها الانسان من غمض وقيل عتبها جمع نَهْضَة قال حاتم بن مدرك يهجو ابا العيوف :

اقول لصاحبي وقد هبطنا وخلفنا المعارض والنهاضا [٢]

وطريق ناهض اي صاعد في الجبل وهو النَّهض وجمعه نهاض قال الهذلي :

يتابع نَقْباً ذا نِهاض فوقعه به صُعُد لولا المخافة قاصد [٣]

هكذا رواه صاحب اللسان ورواه في التاج يتائم نقباً .

وفي كنز الحفاظ والنِهاض وهي نُهُض الطريق واحدتها نَهُوض وهي الصعود وجمعها صُعُد . وفي المخصص النِهاض جمع نَهوض يعني ما وعر منها وعلا

النِهامي بالكسر الطريق السهل . وقيل المَهْيَع الجَدَد وهو النَّهام أيضاً وطريق نِهامي ونَهّام بين واضح . والنَهّام اللقم الواضح أي الطريق البين

المَناب : الطريق الى الماء لأن الناس ينتابون الماء عليها .

المَنار جمع مَنارة العلم يجعل للطريق او الحد للأرض من طين او تراب وفي الحديث ان للاسلام صُوىً ومناراً . اي علامات وشرائع يعرف بها والمنار محجة الطريق قال :

لعلّكِ في مناصمها منار الى عدنان واضحة السبيل [٤]

النِيْر : بالكسر جانب الطريق وصدره تشبيهاً بعلم الثوب . وقيل الخدود واضح في الطريق . وقيل نير الطريق ما يتضح منه . وقال الأزهري الطرّة من الطريق تسمى النير تشبيهاً بنير الثوب وهو العلم في الحاشية قال بعضهم في صفة طريق :

---

(١) تعدي تبين وتقوي (٢) هبط نزل من صعود ويقال طريق ذو معارض أي سراح تغنيهم أن يتكلفوا العلف لمواشيهم (٣) يتابع يوالي والوقع المكان المرتفع من الجبل وصُعد جمع صَعود وهي العقبة الشاقة . والمشقة وخلاف الهبوط (٤) لعلّكِ قبيلة مناصم جمع منصم وهو الطريق .

على ظهر ذي نيرين اما جنابه فوعث وأما ظهره فموعس [1]

نياط المفازة بعد طريقها كأنها نيطت بمفازة اخرى لا تكاد تنقطع . وانما قيل لبعد الفلاة نياط لأنها منوطة بفلاة اخرى قال العجاج :

وبلدة بعيدة النياط مجهولة تغتال خطو الخاطي [2]

وقال أيضاً : وبلدة نياطها نطي أي طريقها بعيد .

حرف الهاء

الهجيج : الشق الصغير في الجبل واستهج السائر في الطريق استعجله

ويقال طريق تهجم : كتمنع : واسع

وطريق مهجل بضمتين غير ملحوب والموجل الطريق الذي لا علم له قال :

إليك أمير المؤمنين رمت بنا هموم المنى والهوجل المتعسف [3]

الهدى بالضم الطريق ومنه قول الشماخ :

قد وكلت بالهدى انسان ساهمة كأنه من تمام الظمء مسمول [4]

وتقول هداه الله الطريق هداية اي عرفه وهذه لغة الحجاز وهداه للطريق والى الطريق اذا دله عليه وبينه

وقال ابن بري يقال هديته الطريق بمعنى عرفته فيعدى الى مفعولين ويقال هديته الى الطريق وللطريق على معنى أرشدته اليها فيعدي بحرف الجر كأرشدت

وهديت له الطريق على معنى بينت له الطريق وعليه قوله تعالى أفلم يهد لهم .

والهدي الطريق وفي حديث ابن مسعود ان احسن الهدي هدي محمد . .

اي احسن الطريق . والهدي والهدية الطريقة والسيرة تقول ما أحسن هديه

---

(١) جنابه ما قرب منه وعث سهل تغيب فيه الاقدام موعس موطوء أي ما قرب منه فهو وعث يشتد فيه المشي وأما ظهر الطريق الموطوء فهو متين لا يشتد على الماشي فيه المشي (٢) مجهولة لا أعلام بها ولا جبال ويقال أرض تغتال المشي أي لا يستبين فيها المشي من بعدها وسعتها والخطو مصدر خطا يخطو اذا مشى (٣) رمت بنا ألقت والمنى جمع منية ما يتمناه الانسان والتعسف السير بغير هداية والأخذ على غير الطريق (٤) وكل فلاناً استكفاه أمره ثقة بكفايته أو عجزاً عن القيام بأمر نفسه ساهمة ناقة ضامرة والظمء ما بين الشربين والوردين في ورد الابل وهو حبس الابل عن الماء الى غاية الورد ومسمول من سمل عينه كقعد فقأها بحديدة محماة أو بغيرها .

وهدْبته اي سيرته وجمع هدْبة هدْي مثل تمرة وتمر وفلان لا يهدي الطريق ولا يهتدي ولا يَهَدّي ولا يَهِدّي

والهادي الدليل لأنه يهدي القوم الطريق . والهادي والهادية العصا لأنها تدل على الطريق وقيل الهادي المتقدم من كل شيء

المَهارق الطرق قال ذو الرمة :

يَعْمَلة بين الدجا والمهارق (١)

وقيل المهارق الفلوات .

الهَيْطَم كحيدر الطريق الواسع يقال طريق هَيْطَم أي واسع وفي القاموس الهَطِيع كأمير الطريق الواسع نقله ابن دريد وانكره الأزهري

الهُلاَّك المنتجعون الذين قد ضلوا الطريق قال جميل :

أبيت مع الهُلاَّك ضيفاً لأهلها　　واهلي قريب موسعون ذوو فضل (٢)

ويقال طريق مُستهلِك الوِرْد اي يجهد من سلكه قال الحطيئة يصف الطريق :

مستهلِك الوِرد كالأسْدي قد جعلت　　أيدي المطي به عادية ركبا

وقد تقدم هذا البيت في رغب .

والمَهْيَع كمقعد الطريق الواسع وفي جواهر الألفاظ الخيف الواضح . وطريق مَهْيَع واضح واسع بين منبسط قال :

بالغَوْر يهديها طريق مَهْيَع (٣)

وأنشد ابن بري :

ان الصنيعة لا تكون صنيعة　　حتى يصاب بها طريق مهيع (٤)

ورواه في كنز الحفاظ : بها الطريق المهيع

وجمعه مهايع بلا همز . قالوا الميم زائدة وهو مفعل من التهيع وهو الانبساط

---

(١) اليعملة من الابل النجيبة المعتملة المطبوعة على العمل ولا يقال ذلك الا للانثى (٢) موسع غني مليء والفضل الخير والزيادة (٣) الغور المطمئن من الأرض والغور تهامة وما يلي اليمن .
(٤) الصنيعة ما أعطيته وأسديته من معروف أو يد الى انسان تصطنعه بها .

ومن قال وزنه فَعْيَل فقد أخطأ لأنه لافعيل في كلامهم بفتح أوله فهو مفعل من هاع يهيع اذا جرى او من الهَيْعَة وهي الضجة عند الفزع وحقه ان يكون مهاعًا لكنه شذ .

حرف الواو

الوَثيرة من الأرض طريق تلاصق الجبل وتطرد . والوثيرة الطريقة

وَجَح الطريق بتقديم الجيم على الحاء ظهر ووضح وطريق مُوجِح : مَوْبَح وفي التاج طريق مُوَجَّح كمعظم

ويقال سبيل مُوَجَّن بين سلك حتى صار معلما

وخرج القوم فوجهوا للناس الطريق توجيهًا أي وطؤه وسلكوه حتى استبان أثره لمن سلكه .

وأجهَت لك السبيل استبانت . وصرف الشيء عن وجهه اي سننه

الوَخي بفتح فسكون الطريق المُعتَمَد وقيل هو الطريق القاصد قال :

فقلت ويحك أبصر اين وَخيهُمُ فقال قد طلعوا الأجماد واقتحموا [1]

والجمع وُخيّ بضم فكسر ووِخي بكسرتين والياء مشددة فيهما . ونحن على وَخي الطريق أي قصده . في المخصص الوَخي الطريق القاصد المستوي ومنه وَخيت وتوَخّيت أي قصدت

الوارد الطريق قال لبيد :

ثم أصدرناهما في وارد صادر وَهْم صُواه قد مثل

والمَوْرِد كمجلس الطريق قال جرير :

أمير المؤمنين على طريق اذا اعوجَّ الموارد مستقيمُ [2]

والواردة والمَوْرِدة مأتاة الماء وقيل الجادة قال طرفة :

---

(١) ويح كلمة ترحم وتوجع وقد تقال بمعنى المدح والتعجب ترفع على الابتداء وتنصب على اضمار فعل مثل ويل والاجماد جمع جمد بضم الجيم مع سكون الميم وضمها وبفتحتين وهو ماارتفع من الأرض واقتحم الأمر رمي نفسه فيه من غير روية وقيل اقتحم اذا رمى بنفسه في نهر أو وهدة أو في أمر من غير دربة واقتحم في النار وقع فيها .

(٢) اعوج الطريق زاغ ومال وانعطف .

كأنَّ علوبَ النِّسع في دأياتها موارد من خلقاء في ظهر قَرْدَد [1]

وجمع الواردة واردات وجمع الموردة موارد · ومنه الحديث اتقوا البراز في الموارد اي المجاري والطرق الى الماء كذا في التاج · وفي اللسان واحدها مَوْرِد وهو مفعل من الورود وفي كنز الحفاظ · الموارد الطرق الى الماء واحدتها موردة وأنشد بيت طرفة المتقدم ومن المجاز استقامت الواردات ·

والموارد أصلها طرق الواردين · وطريق وارد يرد بأهله الماء · وطريق صادر يصدر بهم عنه

الوَرْطة ارض مطمئنة لا طريق فيها

واتسع الطريق نقيض ضاق وسمع الكسائي يتسع ويأتسع ارادوا يوتسع فأبدلوا الواو الفاً طلباً للخفة كما قالوا يأجل ونحوه ويتسع اكثر وأقيس ·

ويقال: الطريق يأتَسِق ويتسق اي ينضم وكل ما انضم فقد اتسق

وفي نظام الغريب المتوسم الذي يسير على الطريق · ولم أره لغيره

وَوَضَحُ الطريق محجته ووسطه وتوضح الطريق استبان والمتوَضِّح من يركب وضح الطريق · ويقال لا تظلم وضح الطريق اي احذر ان تحيد عنه وتجور فتظلمه

الطريق الوطيء الذي سهل ولان · والمُوَطَّأ المسهَّل المدمث والموطوء المَدُوس والواطئة المارة والسابلة سموا بذلك لوطئهم الطريق · ويقال بنو فلان يطؤهم الطريق اي اهل الطريق والمعنى ينزلون بقربه فيطؤهم أهله

ويقال طريق وَعْب اي واسع وجمعه وِعاب

الوَعْث كفلس الطريق الشاق المسلك كالوَعِث ككتف · والموعث كمعظم ووعث الطريق كسمع وكرم تعسر سلوكه وصعب مرتقاه بحيث شق المشي فيه وصعب التخلص منه · وطريق أوْعَث اذا تعسر سلوكه قال رؤبة:

ليس طريق خيره بالأوعث

(١) علوب جمع علب كحرف وحروف وهو الأثر والنسع سير يضفر على هيئة اعنة النعال تشد به الرحال ورواه في اللسان كان مجرّ النسع والدأيات جمع دأْية قيل هي خرز العنق وقيل خرز الفقار وقال أبو زيد لم تعرف العرب الدأيات في العنق وعرفوهن في الأضلاع وهي ست يلين المنحر من كل جانب ثلاث ويقال هضبة خلقاء أي مصمتة ملساء لانبات فيها وصخرة خلقاء ملساء والقردد من الأرض قرنة الى جنب وهدة وقيل ما ارتفع من الأرض ·

وأوعث الرجل وقع في الوَعث وهو المكان السهل تغيب فيه الأقدام

الوَعر ضد السهل يقال طريق وَعر كفلس ووعِر ككتف ووَعير كأمير وأوعر كأحمد وجمع الوَعر أوْعر قال يصف بجراً :

وتارة يسند في أوْعر[1]

وجمع الكثرة وُعور وجمع وَعِر ووَعير أوْعار وقد وَعر من باب كرم ووعد وولَع ووثق . وأوعر به الطريق وَعر عليه أو أفضي به الى وَعر من الأرض وأوعر القوم وقعوا في الوَعر واستوعر طريقه رآه وَعراً واوعره كذلك

الميعاس كميعاد الطريق والوعس شدة الوطء على الأرض والموعوس كالمدعوس

ويقال خذ أوقص الطريقين اي اقربها وقيل اخصرهما

ويقال طريق مُوقَّع كمعظم مذلل

الوُكرَة بالضم المَورِدة الى الماء

الوَلج بالتحريك الطريق في الرمل والوُلُج بضمتين النواحي والأزقة والمَولِج المدخل وتولج دخله

الوَهْنة من الطرق المسلوكة الموطوءة

الوَهم الطريق الواسع وقيل الطريق الواضح الذي يرد الموارد ويصدر المصادر وقد تقدم في قول لبيد صادر وَهمٍ صواه كالمثل

وقال قدامة الوهم المشهورة وفي فقه اللغة الوهم الطريق الذي يرد فيه الموارد .

حرف الياء

طريق يبَس بالتحريك لا ندوة فيه ولا بلل

اليَدُ الطريق يقال أخذ فلان يد بحر أي طريق بحر وبه فسر بعضهم قولهم تفرقوا أيدي سبا لأن أهل سبأ لما مزقهم الله اخذوا طرقاً شتى وفي حديث الهجرة فأخذ بهم يد البحر اي طريق الساحل .

اليَهْماء الأرض التي لا أثر فيها ولا طريق ولا علم وقيل الأرض التي لا يهتدى فيها الطريق .

محمد سليم الجندي

(١) الاسناد سير بين الذميل والهمجة واسند في الجبل اذا ما صعده

دور كتب فلسطين ونفائس مخطوطاتها

- ٢ -

كتب متفرقة

١٠ [٢١٩] الاختيار بشرح المختار في فروع الفقه الحنفي[١]

وكلاهما لأبي الفضل مجد الدين عبد الله بن محمود بن مودود الموصلي البُلدَجي الحنفي قاضي الكوفة (— ٦٨٣ هـ) . ذكر في مقدمته انه جمع مختصراً في فتاوي الحنفية سماه المختار للفتوى واختار فيه قول ابي حنيفة ثم شرحه شرحاً أشار فيه الى علل المسائل ومعانيها . ولهذا الكتاب شروح ومختصرات كثيرة ذكرها الحاج خليفة في كشف الظنون[٢] والنسخة حسنة الخط مكتوبة سنة ٨٢٣ هـ وقفها مصطفى آغا وكيل دار السعادة .

١١ [٢٣٦] (الجامع) المحرر الوجيز في تفسير القرآن العزيز

لعبد الحق بن ابي بكر غالب بن عبد الملك المحاربي الغرناطي المشهور بابن عطية (— ٥٤٢ هـ)

قال الحاج خليفة : « اثنى عليه ابو حيان وقال هو اجل ماصنف في علم التفسير وأفضل من تعرض للتنقيح والتحرير وقيل كتاب ابن عطية اقل واجمع واخلص وكتاب الزمخشري الخص واغوص ونجد اخبار ابن عطية في كتب طبقات علماء الأندلس »[٣]

الموجود من الكتاب جزآن[٤] السابع والثامن كتبهما ابراهيم بن محمد بن زكريا ابن احمد في شهر صفر سنة عشرين وسبعمائة للهجرة وفي المكتبة قطعة ثانية من هذا الكتاب رقمها (٧٨٢) مكتوبة سنة ٧٠٨ هـ .

---

(١) انظر كش ٢ : ٣٩٧ ، بروكلمان ١ : ٣٨٢ والذيل ١ : ٦٥٧ (٢) كش ٢ : ٣٩٢

(٣) انظر ابن بشكوال رقم الترجمة ٨٢٥ ، ونفح الطيب للمقري ١ : ٤٥٠ وقلائد العقيان للفتح ابن خاقان : ٢٩٣ (٤) وهناك نسخ كثيرة في مكاتب القاهرة والاستانة واوربا ودمشق انظر بروكلمان ١ : ٤١٢ والذيل ١ : ٦٣٢

١٢ [٢٤٩] تفسير القرآن العظيم

للحافظ حسين افندي قره شهري من رجال القرن الثاني عشر ، ولم أعثر على ترجمة له فيما بين يدي من المصادر . الموجود الجزء الأول فقط من التفسير وينحصر بتفسير سورة الكهف وهو بخط المؤلف اتم نسخه في سنة ١١٦٨ للهجرة

١٣ [٢٥٠] اختلاف الأئمة

لأبي الفضل نجم الدين محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن المشهور بابن قاضي عجلون الزرعي الشافعي الدمشقي (— ٨٧٦) (١)

نسخة حسنة كتبها احمد بن عبد الباقي الصوفي سنة ١١٠٩ هـ ولم يشر اليها احد ممن تعرض لذكره (٢)

١٤ [٢٥٢] حاشية على شرح متن الغاية والتقريب في الفقه الشافعي لابن القاسم الغزي

الفها الشهاب احمد بن احمد بن سلامة القليوبي (— ١٠٦٩) (٣)

وهي نسخة نفيسة الخط كتبها سنة ١١٢٤ ابو بكر بن عبد الله مؤدب الأطفال لطغرل بك (؟)

١٥ [٢٥٣] الكواكب الدرية في مدح خير البرية (تخميس البردة)

لناصر الدين ابي عبد الله محمد بن عبد الصمد المالكي الذي لا نعرف شيئاً عنه ولا وجدنا احداً تحدث عنه او عن تخميسه هذا . والنسخة بخط جميل جداً كتبها المملوك خداوردي مرتم للسلطان الملك الأشرف قايتباي

١٦ [٢٥٩] ارشاد الغاوي الى مسالك الحاوي

وهو مختصر لكتاب الحاوي الصغير تأليف نجم الدين عبد الغفار بن عبد الكريم القزويني (— ٦٦٥) (٤) كعبة شرف الدين اسماعيل بن ابي بكر المقري الشافعي الشاوري اليمني (— ٨٣٧) (٥) . والكتابان من الكتب المعتبرة عند الشافعية كما يذكر ذلك الحاج خليفة . والنسخة حسنة كتبها امين بن عبد الباري سنة ١١٧٢ هـ .

(١) انظر ترجمته في الضوء ٨ : ٩٦ (٢) انظر الأعلام ٣ : ٩٣٣ (٣) انظر بروكلمان ٢ : ٣٦٤ والذيل ٢ : ٤٩٢ . (٤) بروكلمان ١ : ٤٩٠ وكشف ١ : ٨٦ و ٦١٢ .
(٥) بروكلمان ٢ : ١٩٠ والذيل ٢ : ٢٥٤ .

١٧ [٦٠٦] معين الأمة على معرفة الوفاق والاختلاف بين الأئمة

لمؤلف مجهول . قال عنه الحاج خليفة «مختصر في المذاهب كعيون المذاهب لبعض الشافعية اوله «الحمد لله الذي بلغ اهل العلم من موارده آمالاً» والنسخة حسنة مؤرخة سنة ١١٦٢

١٨ [٧٦٧] الخصائل في المسائل (الفقهية)

لنجم الدين ابي حفص عمر بن محمد النسفي مفتي الثقلين (— ٥٣٧ هـ) [١] ولا ذكر لهذا الكتاب في تاريخ بروكلمان وانما اشار اليه الحاج خليفة [٢] والنسخة مكتوبة بقلم عادي سنة ١١٦٣

١٩ [٧٨١] (فتح) العزيز بشرح الوجيز (في الفقه الشافعي) للامام ابي حامد الغزالي (— ٥٠٥ هـ [٣])

لابي القاسم عبد الكريم بن محمد القزويني الرافعي (— ٦٢٣ [٣])

وهو شرح كبير قال عنه الحاج خليفة «لم يصنف مثله في المذهب» . ومن الكتاب عدة نسخ باوربا ومصر ودمشق والهند [٤] .

٢٠ [٨١٤] تلخيص المتشابه في الرسم وحماية ما اشكل منه عن بوادر التصحيف والوهم

لابي بكر الخطيب احمد بن علي بن ثابت البغدادي (— ٤٦٤ [٥])

وهي نسخة جد قيمة ، صحيحة مضبوطة كتبت سنة ٥٧٧ هـ والمعروف من نسخ هذا الكتاب نسختان الأولى بدار الكتب المصرية [٦] والثانية بدار الكتب الظاهرية بدمشق رقمها (٣٩٠ حديث) كما في بروكلمان [٧]

٢١ [٨٤٨] نشق الأزهار في عجائب الاقطار

لأبي البركات محمد بن احمد بن اياس الحنفي الجركسي الناصري (— ٩٣٠) قال عنه الحاج خليفة «اخذه من تواريخ الأمم وذكر فيه اغرب ما سمعه واعجب ما رآه من عجائب مصر وأعمالها وما صنعت الحكماء فيها وذكر طرفاً يسيراً من ملوكها القدماء واخبار النيل والاهرام وطرف يسير من علم الفلك والهيئة [٨] »

---

(١) بروكلمان ١ : ٤٢٧ والذيل ١ : ٧٥٨ والأعلام ٢ : ٧٢١ (٢) كش ١ : ٤٣٩
(٣) كش ٢ : ٦٢٩ وبروكلمان ١ : ٤٢٦ والذيل ١ : ٧٥٣ (٤) انظر الذيل ١ : ٧٥٣
(٥) انظر كش ١ : ٣٢٣ (٦) كتبخانة ١ : ٢٣٢ (٧) الذيل ١ : ٥٦٤ رقم [٦]
(٨) كش ٢ : ٦٠٠

ومن الكتاب نسخ متعددة ذكرها بروكلمان [١] ومنه نسخة بدار الكتب الظاهرية رقمها (٥٦ ادبيات منثورة [٢])

٢٢ [٨٧٢] طبقات الشافعية

لتقي الدين ابي بكر بن احمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة الأسدي الدمشقي الشافعي (— ٨٥١)

نسخة نفيسة وهي مقسمة الى تسعة وعشرين فصلاً كتبت سنة ٩٦٩ هـ ومن الكتاب نسخ متعددة ذكرها بروكلمان [٣] ويذكر في الذيل [٤] ان للمؤلف كتابين مستقلين احدهما في ترجمة الشافعي والثاني في تراجم الشافعيين ولعل الخطأ قد جاءه من ان الأستاذ حبيب الزيات يذكر «كتاباً اسمه مناقب الامام الشافعي وطبقات اصحابه وانه من تاريخ الاسلام لابن قاضي شهبة ويليه الذيل عليه في ذكر اصحاب الشافعي [٥] »

قلت والصواب ان الكتاب واحد ونسخة الظاهرية تشتمل على ترجمة الشافعي ثم على ترجمة رجال مذهبه وهي نسخة نفيسة جداً بخط المؤلف .

٢٣ [٩٤٠] الفوائد السنية في شرح الألفية

لمحمد بن عبد الدائم بن موسى النعيمي البرماوي الشافعي (— ٨٣١) وهو شرح الفية في اصول الفقه الشافعي واسمها النبذة الزكية في القواعد الأصلية [٦] . والنسخة حسنة مكتوبة سنة ٨٦٨ وفي المكتبة نسخة اخرى رقمها (١٠٨٦) مكتوبة في السنة نفسها . ومن الكتاب نسخ كثيرة ذكرها بروكلمان [٧] وفي دمشق نسخة رقمها (٧٠ اصول فقه [٨])

٢٤ [١٠٨٥] ايضاح مختصر القدوري ابي الحسين احمد بن محمد البغدادي (— ٤٢٨ [٩])

لركن الدين عبد الرحمن بن محمد الكرماني (— ٥٤٣ [١٠])

نسخة فريدة مكتوبة سنة ٩٧٩ ولم أر لها ذكراً فيما بين يدي من فهارس دور الكتب

---

(١) بروكلمان ٢ : ٢٩٥ والذيل ٢ : ٤٠٦ (٢) سجل : ٨٧ خزائن : ٨٢ (٣) بروكلمان ٢ : ٥١ (٤) الذيل ٢ : ٥ (٥) خزائن : ٧٧ — ٧٨ (٦) انظر كش ٢ : ٥٨٢
(٧) بروكلمان ٢ : ٩٦ والذيل ٢ : ١١٣ (٨) سجل : ٥٩ (٩) بروكلمان ١ : ١٧٥ والذيل ١ : ٢٩٥ وكش ٢ : ٢ : ٤ — ٤٠٥ (١٠) بروكلمان ١ : ٣٧٤ والذيل ١ : ٦٤١

٢٥ [١٣٣٠] كتاب (صور) الأقاليم

لأبي اسحق ابراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري (— ٣٤٠ (؟)) [١] وقد طبع هذا الكتاب بعناية المستشرق J. H. Muller مع (٩) خرائط ملونة بغوطا سنة ١٨٣٩ وهذه نسخة قديمة أغلب الظن انها ترجع الى القرن الخامس او اوائل السادس .

٢٦ [١٥٨٨] كشف الدسائس في ترميم الكنائس

لتقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي الشافعي (— ٧٥٦ [٢]) .

نسخة فريدة مكتوبة سنة ١٢٦٦ . قال الحاج خليفة « وانتخب منه مختصراً واوله الحمد لله مقر الاسلام سلطانه . » ذكر فيه انه كتبه في قصة هدم كنيسة اليهود بالقدس سنة ٨٧٥ (؟) على يد الشيخ ابي العزم محمد بن الخلادي [٣] »

٢٧ [١٩٢٦] البهجة المرضية في شرح الألفية لابن مالك (— ٦٢٧ [٤])

للامام الحافظ جلال الدين السيوطي (— ٩١١) .

نسخة مكتوبة سنة ١١١١ وهنالك نسخة ثانية رقمها (٢٦٧٨) مكتوبة سنة ١٢٧٣ ومن الكتاب نسخة واحدة ذكرها بروكلمان [٥] .

نفائس مخطوطات المكتبة الخالدية

كتب التفسير

١ [٥] الكشاف عن حقائق التنزيل

لأبي القاسم محمد بن عمر جار الله الزمخشري (— ٥٢٨) وهي نسخة نفيسة جداً مكتوبة سنة ٦٨٥ بقلم عبد القاهر بن علي بن عبد الرحمن الكتبي الحموي . والموجود من النسخة الجزء الثالث فقط [٦] .

٢ [٣٧] مجموع فيه :

(آ) رسالة التحبير (التحيير) في علم التفسير لجلال الدين السيوطي ، مكتوبة سنة

---

(١) بروكلمان ١ : ٢٢٩ والذيل ١ : ٤٠٨ (٢) بروكلمان ٢ : ٨٧ والذيل ٢ : ١٠٤ رقم [٢٧]
(٣) كش ٢ : ٣١٨ (٤) بروكلمان ١ : ٢٩٩ . وكش ١ : ١٣٩ (٥) بروكلمان ٢ : ١٥٥ رقم ٢٤٦ (٦) برنامج : ٤

١٠٠٥ قال الحاج خليفة «ضمن فيها ما ذكره البلقيني في مواقع العلوم وجعله مائة نوع ونوعين وفرغ منها في رجب سنة ٨٧٢ ثم صنف الاتقان ودرجه فيه[١]» .

(٢) تحليل الحائض لشرف الدين ابي القاسم هبة الله بن عبد الرحيم الجهني البارزي الحموي (— ٧٣٨) او (— ٧٢٨[٢]) ولا ذكر لهذه الرسالة في بروكلمان وغيره .

(٣) كشف المعاني لمتشابه المثاني . وهي رسالة لطيفة في متشابهات القرآن مخرومة الآخر ، لمؤلف مجهول

(٤) ابطال ما شاع في البلاد من اتخاذ القرآن مكتسباً . وهي أيضاً لمجهول

(٥) حاشية للجلال السيوطي على تفسير «جزء عم» للقاضي البيضاوي[٣] .

٣ [٤٧] التفسير الوسيط بين المقبوض والبسيط

لأبي الحسن علي بن احمد بن محمد الواحدي النيسابوري (— ٤٦٨[٤])

قطعة من التفسير اولها تفسير «سورة مريم» وآخرها تفسير «سورة الزمر» وهي بخط ابي بكر محمد بن احمد السمرقندي سنة ٥٤٨[٥] .

التجويد والقراءات والرسم

٤ [١] شرح المنظومة الشاطبية في القراءات

لعلم الدين ابي الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد السخاوي (— ٦٤٣[٦])

قطعة تشتمل على النصف الاول من الكتاب كتبها احمد بن عثمان الجزري بمدينة ارزنجان في خانقاه الملكة الفخرية سنة ٦٧٦ هـ[٧] .

٥ [٢] سراج القارئ المبتدئ وتذكار المقرئ المنتهي

لابن القاصح ابي البقاء علي بن عثمان بن محمد العذري البغدادي (— ٨٠١[٨])

وهو شرح القصيدة الشاطبية كتبه عيسى بن هبة الله الفتياني امام قبة الصخرة الشريفة سنة ١٠٩٧ .

(١) كش ١ : ٢٦٩ وانظر أيضاً بروكلمان ٢ : ١٤٥ والذيل ٢ : ١٨٠ (٢) بروكلمان ٢ : ٨٦ و ١١٦ والذيل ٢ : ١٠١ (٣) برنامج : ٦ (٤) بروكلمان ١ : ٤١١ والذيل ١ : ٧٣٠
(٥) برنامج : ٦ (٦) بروكلمان ١ : ٤١٠ والذيل ١ : ٧٢٧ (٧) برنامج : ٧
(٨) بروكلمان ٢ : ١٦٥ والذيل ٢ : ٢١٢

٦ [٧] رسالة في قراءة حفص عن عاصم مؤلفها فايد بن مبارك الابياري الصوفي (— ١٠٧٦) وهي رسالة فريدة لم يشر اليها بروكلمان ولا غيره[١]

الحديث

٧ [٤] الترتيب والتفسير بمعرفة سنن البشير النذير

لأبي زكريا يحيي بن شرف النواوي (— ٦٧٦) نسخة نفيسة مضبوطة كتبها داود بن اغلبك بن علي الحنفي سنة ٧٠٧ هـ[٢].

٨ [١٤ — ١٦] الكوكب المنير لشرح الجامع الصغير للجلال السيوطي

الفه شمس الدين محمد بن عبد الرحمن العلقمي الكوكبي (— ٩٧٨) والموجود منه الأجزاء ١، ٢، ٤ كتبت سنة ١٠٨٣[٣].

٩ [٢٠] بهجة النفوس وغايتها بمعرفة ما لها وما عليها

لعبد الله بن سعد (سعيد) بن ابي جمرة الأزدي الأندلسي (— ٦٧٥)[٤] وهو شرح لمختصره كتاب الجامع الصحيح البخاري. والموجود من الكتاب الجزء الأول فقط وقد كتب سنة ١٠٤٦[٥]

١٠ [٦٥] كشف المناهج والتناقيح في تخريج أحاديث المصابيح

للحسين بن مسعود البغوي (— ٥١٦) خرجها صدر الدين محمد بن ابراهيم المناوي السلمي (— ٨٠٣)[٦] والنسخة حسنة ترجع الى زمن المؤلف[٧].

١١ [٦٦] السنن لأبي عبد الرحمن احمد بن علي النسائي (— ٣٠٣)[٨]

الجزء الثالث فقط من نسخة حسنة الضبط والخط في آخرها ما نصه « نقلت من نسخة مكتوبة على يد ابن قاسم بقرطبة سنة ٣٨٣ هـ »[٩].

١٢ [٦٧] جامع الأصول لأحاديث الرسول

لمجد الدين ابي السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن الأثير الشيباني

---

(١) بروكلمان ٢ : ٣٤٠ والذيل ٢ : ٤٦٩ . (٢) برنامج : ٨ . (٣) برنامج : ٩ .
(٤) بروكلمان ١ : ٣٠٢ والذيل ١ : ٦٣٥ وكش ١ : ٢٠٥ (٥) برنامج : ٩ (٦) الذيل ١ : ٦٢١
(٧) برنامج : ١١ (٨) بروكلمان ١ : ١٦٢ والذيل ١ : ٢٦٩ (٩) برنامج ٢ : ١

الجزري (— ٦٠٦ [١]) الجزء الأول فقط من نسخة جيدة الخط والشكل كتبها بعض تلاميذ المصنف سنة ٦٣٥ [٢] .

١٣ [٦٨] جامع الأصول لأحاديث الرسول لابن الأثير

الجزء التاسع وقد كتب على هامشه ان محمد بن ابي بكر الرازي صاحب مختار الصحاح (— ٧٢٠) قد قرأه على الإمام ابي المعالي صدر الدين محمد بن اسحق القونوي (— ٦٧٣) سنة ٦٦٦ هـ [٢] .

١٤ [٦٩] جامع الأصول لأحاديث الرسول لابن الأثير

الجزء الأخير منه كتبه احمد ابو الطيب بن احمد بن محمد الكازروني سنة ٧٨٧ [٢]

١٥ [٧٨] شرح الشفاء للملا علي القاري (— ١٠١٤)

القسم الثاني منه كتبه قاضي العسكر ولي الدين اليكاني سنة ١١٧٥ [٢]

١٦ [٨٤] النهاية في غريب الحديث

لمجد الدين ابن الأثير [انظر رقم ١٢] . الجزء الأول منها كتبه محمد بن نصر بن محمد بن عبد الكريم بن الأثير الجزري ابن اخي المؤلف في سنة ٦٦٢ والنسخة جيدة حسنة الخط [٢]

١٧ [٨٥] تعاليق على الخصائص النبوية

لأبي العباس الشهاب احمد بن محمد بن الهائم الحاسب الفرضي (— ٨١٥ [٤]) وهي نسخة فريدة لاذكر لها فيما بين يدي من فهارس دور الكتب العامة، كتبها المؤلف [٣] .

١٨ [٨٦] مشكاة الأنوار فيما يروى من الأحاديث المسندة الى الله عز وجل

لمحمد بن علي بن محمد بن عربي الطائي الأندلسي (— ٦٣٨) [٥] . وهي اربعون حديثاً قال في أولها : جمعت هذه الأربعين بمكة في شهور سنة ٥٩٩ وشرطت فيها ان تكون من الأحاديث المسندة الى الله سبحانه خاصة وربما اتبعتها بأحاديث عن الله مرفوعة اليه غير مسندة الى رسول الله ﷺ مما رويتها وقيدتها ثم اردفتها بواحد وعشرين حديثاً فجاءت واحداً ومائة حديث إلهية . والنسخة مكتوبة سنة ٨٠٧ هـ [٦] .

يتبع : الدكتور اسعد طلس

(١) بروكلمان ١ : ٣٥٧ (٢) برنامج : ١٢ (٣) برنامج : ١٢ (٤) بروكلمان ٢ : ١٢٥ والذيل ٢ : ١٥٤ (٥) بروكلمان ١ : ٤٤٣ (٦) برنامج : ١٣ .

تصحيح أغلاط كتاب البخلاء

- ٩ -

١٦٩ — ٦ [ولطي] — و [اَلطيَ] بياء مهملة .

١٦٩ — ١٠ وسمكته [سلتة] - [شلتة] اسم سمكة صغيرة .

١٧٢ — ٦ [بقلع] اصل النمل — [بقطع] كما قال [غ] .

١٧٢ — ٧ ليوقد به [سائر] الحطب -- [كسائر] الحطب .

١٧٤ — ١ عود نفسك [الاثرة] — [الايثار] .

١٧٤ — ٤ قال ابوذر لمن [بذل] — [بدّل] . كما قال [غ] .

١٧٥ — ٤ [أتوا بالتخم] -- [ماتوا بالتخم] .

١٧٦ — ٦ [والتبليغ] باليسير — [والتبلغ] .

١٧٦ — ٨ وان تكون [لقصر العمر حليفاً] — [بقصر العمر خليقاً] .

١٧٨ - ١ لاح [للصباح] . وفي [ط] للضيا — [للضياء] . كما في تعليقات [ف]

١٧٩ — ٤ [وحوكة] شهوته - خطأ مطبعي . [حركة]

٨١ — ١ [وكانت] -- الواو زائدة [كانت] .

١٨١ جاء في الهامش عن الجواف انه بائع الجوافات . فيكون صاحب الهامش قرأ الكلمة بفتح الجيم وتشديد الواو . والصحيح انها هنا وزان غراب ، لنوع من السمك ، واحدته جوافة .

١٨٣ — ٥ فأقبلت على ام فيلويه [قالت] لها - [وقالت] لها .

١٨٣ ٧ [فقالت] - [ثم قالت] .

١٨٣ - ٩ [فقالت] فقلتُ — [قالت] فقلت .

١٨٣ — ١٦ [لابن جلاد] الدم — [كان حلال] الدم كما قال [ف] في تعليقاته

١٨٣ - ١٦ وكان [أن] قال [إن] .

١٨٤ — ٥ واني [لأتبهّر] — [لا نبهر] .

١٨٤ — ١٣ [المنجان] — [المنحاز] كما سبق ·

١٨٥ — ٥ [يريحها] — [يرخيها] ·

١٨٥ — ٤ والله [تلعب] انت — [تغيب] يؤيده قوله بعده: انت لست ترى نفسك ·

١٨٦ ١ — افسل عنك من [يصدِّقك] بتشديد الدال وكسرها — [يصدُقك] بضمها

١٨٦ — ٦ والعجب [لا تتخم] — والعجب [انك لا تتخم] ·

١٨٦ — ١٤ [ويحير] - [ويُخَتِّر] · الختر بالتحريك الخدر يحصل عند شرب دواء أو سم وتختّر تفتّر واسترخى وكسل وحم واختلط ذهنه من شرب اللبن ونحوه ومشى مشية الكسلان [قاموس] ·

١٨٧ — ١١ في الأصل المخطوط : [او ليس] هو عنده اذا كان يظهر العجب به — جملة لا معنى لها وتكلفوا اصلاحها بان بدلوا الا ان باذا كان ، ولم يزدها هذا التكلف الا غموضاً · وأصل الخطأ في كلمة واحدة هو الذي أوجب هذا التشوش وهو قوله أو ليس · والصواب [أَوْ يَجْلِسُ] · فتكون الجملة أو يجلس هو عنده اذا كان يظهر التعجب به · فيستقيم المعنى وينسجم مع ما قبله ·

١٨٧ - ١٤ حتى جعل ذلك [صناعةً] — [صناعةً له] ·

١٨٧ ١٥ أكل ..... ما لا يطيقه [فيقتل] — [فيعتلّ] ·

١٨٧ — ١٦ [فلا] يزال قد هجم — [ولا] ·

١٨٨ — ٢ كان ذلك صلاحاً [لفريقين] - [للفريقين] ·

١٨٩ — ٤ كما يتمدحون بقلة [الرزق] - [الرزء] كما قال [غ] ·

١٩٠ — ٧ [بقايس] وبناظر — [بنافش] ·

١٩١ - ٢ توضع اشارة الاستفهام بعد [على هذا] ·

١٩١ — ٤ كان للغزال قطعة ارض قدام [حانوتي] — [حانوته] · لأنه كان يشتري ويبيع الغزل · وورد في الصفحة التالية : فاذا اشترى من امرأة غزلاً الخ · فلا بد ان الدكان كانت دكانه لا دكان محمد بن حسان الأسود ·

١٩١ في الحاشية ٣ قول [غ] انه لم يعلم هل الساكن بمعنى المسكن أو المتأجر ·

اقول سبق ان ورد ذكر الساكن في قصة الكندي ١٢٤ - ٩ وتكرر بعدها بمعنى المستأجر وهكذا يصحح القسم الأخير من حاشية ٦ في ص ٢٢٨ وحاشية ٦ في ص ٢٣٧

١٩٣ — ٥ [أرِح] . وفي [ط] ارع بلا اعجام — [واربح] وهكذا صححها [ف] في تعليقاته .

١٩٣ — ١٠ [فاذا] — [واذا] .

١٩٤ — ١١ [فتقديرهم] — [فتقتيرهم] يؤيده ماجاء بعده : وانما نحكي عن البخلاء

١٩٥ — ٥ فلما [مددت] قال — [مددت يديْ] .

١٩٦ - ٦ انه لبأ [وغلظة] — [وغلظُهُ] . كما قال [م]

١٩٦ — ١٠ ثم قطعتَ [الأكل] اشهى ما كان اليك — [والأكل] . يعني قطعت الأكل حال كونك كثير الشهوة اليه .

١٩٧ — ٥ [الا يراد] — [الا ارد] .

١٩٧ — ٨ [وتعريفك] اياه — [وتفريقك] .

١٩٨ — ٦ [قالت] المرأة — [فقالت] .

٢٠٠ — ٩ [أنت أيضاً دون] كم ترون من مرة — [أبن العادّون] .

٢٠١ — ١٢ عند قوله أشياء بشيء ينتهي الكلام وينصرف الجاحظ الى التكلم عن صالح بن عفان . فكان يجب كتابة ما بعده في رأس السطر .

٢٠٢ — ١٠ [واذا] مد — [اذا] كما قال [غ] .

٢٠٣ — ١ تنغصون عليه تلك [السرعة] — [الشربة] .

٢٠٣ — ١١ واتانا [بأرز] — [بأرزّة] كما قلنا سابقاً .

٢٠٣ — ١٢ [فنثروا عليها لبله من ذلك مقدار نصف سكرة فوقعت ليلتئذ في فمي قطعة] هذه جملة قد تتابعت اقلام النساخ في افسادها . اراد دغوبه اصلاح لبله بلبكة واراد [م] اصلاح [ذلك] بدبس . ولكن الأرزة اذا لبكت بدبس لا يسمع لها جرش تحت الأسنان فتنتفي النكتة . وعندي ان احد النساخ كتب بين السطرين [يومئذ] مصلحاً بها [لبله] ولكنه لم يضرب على هذه بصورة ظاهرة فأثبتها النساخ الذين أتوا بعده . ونسي ناسخ آخر ان يكتب [من ذلك] ، فلما

احس بسهوه عاد فكتبها بين السطرين أو على الحاشية فلما نسخ ناسخ آخر من تلك النسخة ادخلها في السطر الذي فوقها . وكان حقها ان تدخل في السطر الذي دونها ، فتكون لبله غلطاً من ليلتئذ لا بل غلطاً من آنئذ وزائدة . [ومن ذلك] وقعت في غير موقعها ويجب تأخيرها الى السطر الذي دونها ، واضافة كلمة سكرجة فقد اعتبرها جهلة النساخ زائدة لما رأوها بجانب كلمة سكر وظنوها مكررة . وعلى هذا يكون صواب الجملة هكذا : [فنثروا عليها مقدار نصف سكرجة سكراً فوقعت آنئذ في فمي قطعة من ذلك] والأحسن [من ذلك السكر] .

٢٠٥ — ١ [الشصوس] للسمك — خطأ مطبعي [الشصوص] .

٢٠٥ — ٢ ويسكروا الدرياجة الخ — في هذا السطر والذي يليه الدرياجة والشلابي والرمان ، كلمات لم أعلم صحتها ولا ما يقصد بها ولم أجد الناشرين والمصححين أتوا بشيء تطمئن اليه نفسي ولم تذكرها المعاجم . فرأيت ان احسن شيء أفعله ان اكتب الى صديقي المحامي السيد سليمان فيضي الموصلي نزيل البصرة منذ دهر . فتفضل عليّ بجواب شافٍ هذه خلاصته : استفادةً من وجود المد والجزر في البصرة يفصل صيادو السمك قسماً صغيراً من الماء مما يلي الشاطئ بالقصب او بجريد النخل على هيئة قوس طرفه الأسفل متصل باليابسة وطرفه الأعلى منفصل عنها بمقدار قليل يمكن السمك من الدخول مع الماء أثناء المد . ويعبرون عن ركز القصب أو الجريد بهذه الصورة بالتسكير بمعنى السد . ويسمون القسم المحصور بين السكر والشاطئ درياجه وهي البحيرة بالفارسية وعند الجزر يتخذ الصياد طريقتين لصيد الأسماك المحصورة في الدرياجة . الأولى استعمال شبكة صغيرة على هيئة كيس مخروط قاعدته المفتوحة مربوطة بعود لدن قدحي بشكل بيضي ، يغطها السماك في الماء ثم يرفعها ويأخذ ما دخل فيها من الأسماك . وهذه الشباك الصغيرة تسمى الشلابي ، مفردها شالوبة تشبيهاً بالشالوبة التي ينخل بها الدقيق . ولفظة شالوبة مستعملة في العراق لنوع من المنخل ذي العيون الواسعة قليلاً اي ان الشالوبة تكون متوسطة بين المنخل والغربال . وما كان اخشن من الغربال سمي سارودا . والطريقة الثانية استعمال سلة

مخروطة الشكل قمتها وقاعدتها مفتوحتان مصنوعة من أغصان اشجار التوث الدقيقة قد ربط بعضها ببعض بخيوط يضع السماك قاعدة هذه السلة على قاع الدرياجة بخفة فوق السمكة فيحصرها فيها . ثم يمد يده من الفتحة العليا التي في القمة ويمسكها . وهذه السلة تسمى بال (اوهار) . وكلمة تسكير ودبارجة وشلابي واوهار لا تزال مستعملة في البصرة . هذا ما تفضل به المحترم السيد سليمان فيضي . أقول ورد في التاج : وهره يهره وهراً ووهّره توهيراً أوقعه في ما لا مخرج له منه . وهذا المعنى ينطبق على السلة المذكورة فانها لا تدع السمكة تفلت . واوهار تشبه ان تكون جمع وَهر كسبب وأسباب . والخلاصة ان الرمان الواردة في الكتاب محرفة من [الأوهار] وان [الشلابي] صحيحة وما ورد في الحاشية عداها فمحرف .

٢٠٥ — ٨ من بعض [زقاق] ارضه [رَقاق] كسحاب الصحراء والأرض اللينة التراب تحته صلابة او هي ما نضب عنها الماء [القاموس] .

٢٠٥ — ١٠ اطعمكم [الفرد] ... [ليطعمكم الجوهري] — ليس الفرد والجوهري اسمين خاصين لطعامين ، انما الأول محرف من [القَصَرة] وهي ما يبقى في المنخل بعد الانتخال ، والثاني من [الحوارى] لب الدقيق الأبيض الخالص . اذن [اطعمكم القصرة] ... [اطعمكم الحوارى] .

٢٠٧ في الحاشية قال [ف] الظاهر ان اسم هذا الرجل [اسماعيل] قد ذكر سابقاً — نعم ذكر كثيراً [انظر الفهرست] وذكر في ٢٠٦ — ٣ وهو اسماعيل بن غزوان ، والبحث عنه متصل من هناك الى هنا لم ينقطع .

٢٠٧ — ٥ [ابو الاسحاق] — [ابو اسحاق] .

٢٠٧ — ٧ لو كان [ما] يصنعون — [في ما] يصنعون .

٢٠٨ — ١ [واستبطنه] وفي المخطوطة واستبطاه — [واستبطأه] .

٢٠٨ — ٨ [الدرهم] بأخذه — [بدرهم] يأخذه .

٢٠٨ — ١١ والخلاص بالموت [والحياة] — [هو الحياة] . كما قال [غ]

٢٠٩ — ١٠ [من الباب] — [من هذه البابة] .

٢١٠ — ٦ [النقصان] — [من النقصان] ٠

٢١٠ — ١٠ [من اللوم] — مزيدة ولا لزوم لها ٠

٢١٠ — ١٣ فأقامه على [الأري] — [الآري] بالمد والتشديد ويخفف الآخية [تاج]

٢١١ — ٢ [بِجُرِّ] مالي — [بِجُلِّ] مالي ٠

٢١١ — ٤ اذا دخل الحانوت [يحتال] — [يختان] أي يخون ٠

٢١١ — ١٢ من ان يحتمل فيه [احد] — [احدهم] اي احد الأولاد ٠

٢١١ — ٥١ الداردريشي ٠ وفي مخطوطة المتحفة البريطانية ذات الرقم ٣١٣٨ المزازديشي — [الزردريش] من زرد اصفر وريش لحية بالفارسية فيكون معناه اصفر اللحية أو قل اشقرها ٠

٢١٣ — ٣ [لم نكثر] الولد — [لم تكثر] ٠

٢١٤ — ٩ [الهليانا] — [الهلباثا] وفي التاج الهلبات ٠ وفي المصباح المنير هلثاءة وأظنها خطأ من هلباثة ٠ جاء في التاج : والهلبات بالكسر ضرب من التمر عن ابي حنيفة قال اخبرني شيخ من أهل البصرة قال لا يحمل شيء من تمر البصرة الى السلطان الا الهلبات كذا في اللسان ٠

٢١٤ — ١١ ثم [نصير الى الكساء] — [يصير الى الكباب] ٠ التدرّج من الرطب الى الغداء الى العشاء الى الكباب الى الاجداء الى الحملان تدرج طبيعي ٠ يقتضي ان تكون الكلمة الكباب لا الكساء ٠

٢١٦ — ٩ [قسمتها درهم] تقديم وتأخير مطبعي ٠ [درهم قسمتها] ٠

٢١٨ — ٥ [فاحتلبت] — [احتلبت] ٠ دعاء عليه ٠

٢١٩ — ٣ على طريق [التفرغ] له — [الفزع] له ٠ اي الاغاثة ٠

٢٢٠ — ١ [وبعد فاقتضاء القليل اولى بك الى هذا بلغت ٠٠٠ الى قوله : بلغت منه شيئاً] — هذا كلام غير مفهوم ٠ والظاهر ان السبب فيه سقوط كلمات كثيرة منه في احدى النسخ الأم ، اما بالابتلال واما بانسكاب حبر او ما شاكل ٠ فاذا اردنا ان نكمل العبارة مستعينين بسياق الحكاية ومثبتين الكلمات الباقية حصل

عندنا ما يأتي : [وبعد فاقتضاء القليل من المحل القريب اولى بك من اقتضاء الكثير من المحل البعيد · فكيف اذا تكرر ذهابك الى هذا المحل البعيد لاقتضاء القليل وتشاغلت عن القريب وما بلغت منه شيئاً] ·

٢٢٠ — ٢ الا انا نحب انك [تحكي] عن الأمر بشيء — [تجلي] · كما قال(م)

٢٢٠ — ٦ والقوم [قبلي ان يموتوا] - [قبل ان يحترفوا] ·

٢٢٠ — ٨ [يعني] — [يعنون] ·

٢٢١ — ١٦ [وموصلاً] بدين لي مشهور — [متصلاً] ·

٢٢١ — ١٧ [ما يبقى] على الغرماء — [ما يبقى لي] ·

٢٢٢ — ١٥ وان[بنفي] عنه[كل]اعان على حبسه — [وان ننفي] عنه [كل ما] اعان ·

٢٢٢ — ١٥ مع ما [بدخل] من الغيظ — [يدخله] ·

٢٢٣ — ٧ الى [العصر] والدق — [القصر] · كما استدركها (ف) في تعليقاته ·

٢٢٣ — ١٣ وما [جلت] — خطأ مطبعي [جلست] ·

٢٢٣ — ١٥ [وجفت] — وَخَفَّتْ] اي بزوال الوسخ المتراكب عليها ·

٢٢٤ — ٦ عارضني ··· [وتلبس] ··· وتعرضت — [ولبست] ·

٢٢٥ — ٧ [سحق] فضله — [مُحِق] ·

٢٢٦ — ١ باني [رغب] في غدائه — [ارغب] كما في (ف) ·

٢٢٦ — ١١ و ١٣ [الثمر] — [التمر] ·

٢٢٩ — ٨ اشترى [ثمرته] — [تمرته] · يقولون ثمرته ويقصدون ثمره ·

٢٣٠ — ٣ [ولا يضربني] بحق — [ولا يعرفني] بحق · يريد لم تسبق لنا معارفة حقيقية

٢٣٠ — ٣ نتوزع هذه الفضلة · اشار (غ) في الحاشية قائلاً لعلها الفضيلة · وليس كذلك ، انما استعمل الجاحظ الفضلة والفضل بمعنى الفرق بين الحسابين من جهة الخسارة كما هنا ومن جهة الربح ايضاً · انظر ٢٢٥ — ٧ فقد استعمل هناك الفضل بمعنى الربح وبمعنى الخسران في آن واحد حيث قيل محق فضله وخرج علينا فضل ·

٢٣٠ — ٣ هذا [احسن] — [حسن] ·

٢٣٠ — ١٠ [وُيعطِي] الأموال على مذاكرة العلم — [وُيعطَى] ·

٢٣٠ قيل في الحاشية ٧ ان الساج الطيلسان الأخضر او الأسود . وليس المقصود هنا انما المقصود خشب الساج للبناء .

٢٣١ — ٥ [ثم اجمجم] — [ثم قلت له لِمَ اجمجم] . هكذا يستقيم المعنى . اعني انه ورّى له تورية بقصة اللحم والسنور، ثم اراد ان يصرح له .

٢٣٣ — ١ حين شكا اليه [الحفاء] — [الحَفَا] . حق وتحقى شكا حقوه .

٢٣٣ — ١٤ فدعا [يحيى] غلامه — [محمد] . لا شك في ذلك .

٢٣٤ — ٨ وكان [بتحري] وقته — [يتحيّن] .

٢٣٤ — ٩ [وحين] وضع الخوان — [او حين] .

٢٣٤ — ١٤ بطبق خوخ . اما ان [تكون] هدية — ان [يكون] .

٢٣٥ — ٧ [أكلُ] مثلي — [أكلَ] . وفي السطر عينه [أنظرُ] — [أنظرَ]

٢٣٥ — ١٣ [ثم تحول] — [ثم انه تحوّل] .

٢٣٥ في الحاشية ٤ بمعنى أن ذا العين [الذي] نظر — [اذا] نظر .

٢٣٧ — ١٤ [احتباسك] علينا — [احتباشك] . الاحتباش الجمع . يريد اتيانك بأشخاص معك لانريدهم ولا نأنس بهم . ولو كانت الكلمة احتباسك لقال عنا ، لاعلينا .

٢٣٨ — ٢ ومنها شيء حمى — اي هل حميت شيئاً منها كما يحمى المرعى . فيجب وضع اشارة الاستفهام بعد حمى .

٢٣٩ — ١٠ [الاسدي] — صححها (ف) في تعليقاته [الاسيدي] .

٢٤١ — ١ فيها الصريح الذي يشفي من [القرم] — [العَيَم] . وهو اشتهاء اللبن وأراد بالصريح اللبن الخالص الذي لم يمازجه ماء .

٢٤٣ — ٦ [قال له] — [فقال له] .

٢٤٤ — ١ [رداءٌ] — [رداءً] . كما في (ف) .

٢٤٦ — ١ [وما انت] فقد — [وأما انت] .

٢٤٦ — ١٢ ولقد دخل اعراقك [جور] — [جذر] . أي خالط اعراقك عرق غريب

٢٤٦ — ١٥ [أقراف] — [إقراف] . كما في (ف) .

٢٤٧ - ٣ [بخيل] - [دخيل] كما في الحاشية .

٢٤٧ - ٤ [يعز] من غير طعام - [يغب] .

٢٤٨ - ١٥ فلما رآها تزدحم في [القوادي] - جاء في الهامش البوادي . لكن البوادي اوسع من ان يزدحم فيها الف بعير . القوادي صحيحة لاغبار عليها جمع قوداء وهي الثنية العالية . جمعت على قوادي كما تجمع صحراء على صحاري . — وقد كتب في الهامش الأيمن بحذاء هذا السطر : (هاشم اطعم للطعام) وحق هذا الهامش ان يكتب حذاء السطر الأول من الصفحة التالية .

٢٤٩ - ١٤ ولأهل تلك [البرية] على سائر الجزائر والترب - تلك [التربة] كما ذكر [ف] في تعليقاته عطفاً على دي غويه .

٢٥١ - ١ [ولا بدع] - [من لا] بدع .

٢٥١ - ٨ [الكهم] - [الكريم] . كما قال (م) .

٢٥٣ - ١ [فقد] ابقنا - [قد] .

٢٥٣ - ٦ الزنج اقصر الناس [مدة] وروية - [فكرةً] . يؤيده قوله في ٢٥٥ - ٩ : من لا فكرة له ولا روية .

٢٥٣ - ١٤ [وقالوا] - [فقد قالوا] .

٢٥٤ - ٣ واحرص من كلب على عقبي [صبي] - [ظبي] . كما في (ط ، ف ، ص) . لأن الكلب يحرص على القبض على عقبي الظبي عندما يلحق به ليصطاده .

٢٥٥ - ٤ [المنهزم] - [المتهوِّر] . كما قال (م) في آخر الحاشية .

٢٥٥ - ٧ [قدرته] - [قدره] .

٢٥٥ - ١٠ منه [مناله] - منه [منال] . اي وان كان لا يصيبه منه شيء .

٢٥٦ - ٤ [فقلو أو محقور] - [فملول ومحقور] .

٢٥٦ - ١٤ [لم يجذوا] - [لم يذروا] . كما جاء في تعليقات (ف) .

٢٥٧ - ٧ [قال] بنو مدلج - [قيل] .

٢٥٨ - ٢ عند [الفراغ] - [الفزع] . كما جاء في تعليقات (ف) .

٢٦٠ — ٣ في [شقها] — في [رعيها] . كما في الكامل .

٢٦٠ — ٦ قامت [تباكر] — [تباكي] كما في تعليقات (ف) .

٢٦١ — ٤ [ذرعته]الريح— [زعزعته]. كما جاء في تعليقات (ف) عطفاً على البيان

٢٦١ — ١١ [الخطيأة] — [الخطيئة] .

٢٦٣ — ١٢ [ان] الجأك — [لإن] . كما في تعليقات (ف) .

٢٦٤ — ٧ [وقال] — [وقالوا] . كما في (ص) .

٢٦٥ — ٦ [وكن] ارث الشفون — [وكل] . كما قال (م) .

٢٦٦ — ١٢ [التجابر] — [التنابذ] .

٢٦٦ — ١٥ سوء [التكفي] — [التجني] .

٢٦٧ — ٥ [فالمتتابع] — [المتنابع] . وفي السطر عينه [والمتكفي] — [والمتجني] .

٢٦٧ — ٨ فانه [حارص] — [خارص] . وهو الكذاب والقائل بالظن والتخمين .

٢٦٧ — ٩ غايته [قبل] الذواق — [مثل] الذوّاق . والذواق بتشديد الواو وفي السطر عينه [ولا في] الحرون ذي التصميم — [ولا خير في] الحرون .

٢٦٧ — ١٤ ومن [اخطأها] كذب — [احصاها] . اي ادعى الاحاطة بها .

٢٦٨ — ١٦ [فنقلبه] من سكر الغنى — [وقلقه] اي عدم ثباته في يد صاحبه . يؤيده ما جاء بعده في الصفحة التالية س ٣ : بقدر قلقه في يده .

٢٦٩ — ٨ ولا [تحتل] — ولا [تحتال] .

٢٦٩ — ١٠ [تخذ لنفسك بالثقة] — زائد يجب حذفه . لأنه يأتي في السطر الذي بعده

٢٦٩ — ١ [فقولك الماضي] حلو — [فقول ابي العاص] . وهو صاحب الكتاب الأول

٢٦٩ — ١٣ [أني] انيح لها — [أنّى] .

٢٧٠ — ٧ [الى] الباطل [كرم] — الى خطأ صوابه [الاّ] . كلمة كرم زائدة يجب حذفها . فتكون العبارة : وليس وراء الحق الاّ الباطل .

٢٧٠ — ٩ ولئن جمعها اسم واحد [وشملها] حكم واحد — [لشملها] . وهذا كقوله ٢٧٢ — ٧ : ولئن كان مجاوز الحق كريماً ، ليكونن المقصر دونه كريماً أيضاً .

(الموصل) يتبع : الدكتور داود الجلبي

مخطوطات ومطبوعات

كتاب السلوك

لمعرفة دول الملوك لتقي الدين احمد بن علي المقريزي

الجزء الثاني — القسم الثاني ٧٢٩ - ٧٤١ هـ ١٣٢٨ ١٣٤٠ م طبع بالقاهرة سنة ١٩٤٢

أفضنا غير مرة في حديث هذا الكتاب الذي تحييه لجنة التأليف والترجمة والنشر ويحققه وينظر فيه الأستاذ محمد مصطفى زيادة من جامعة فؤاد الأول وقد جاء هذا الجزء اللطيف كالأجزاء السابقة بالغاً الغاية من العناية بالتصحيح والرجوع الى المصادر . ومما استفدناه من هذا السفر صورة من عادات المماليك بمصر (ص ٣٤٦) رسمت ما كانوا عليه في معاملة رعاياهم . وهذه الصورة صدرت عن أفضل ملوكهم اعرقهم في الملك الملك الناصر محمد بن قلاون وذلك انه لما عزم ان يحتفل بعرس ابنه « رسم باحضار جميع من بالقاهرة ومصر من ارباب الملهى الى الدور السلطانية ووقع الشروع في عمل الاخوان (الخوان) فأقام المهم سبعة ايام بلياليها واستدعى السلطان حريم جميع الأمراء اليه فكان أمراً عظيماً . فلما كانت ليلة السابع منه جلس السلطان على باب القصر وتقدم الأمراء على قدر مراتبهم واحداً بعد واحد ومعهم الشموع فاذا قدّم الواحد ما احضره من الشمع قبّل الأرض وتأخر وما زال السلطان بمجلسه حتى انقضت تقادمهم فكانت عدتها ثلاثة آلاف وثلاثين شمعة زنتها ثلاثة آلاف وستون قنطاراً فيها ما عُني به ونقش نقشاً بديعاً تنوّق (في الأصل تنوع) في تحسينه فكان أبهجها وأحسنها شمع الأمير علم الدين سنجر الجاولي فإنه اعتنى بأمرها وبعث الى عملها بدمشق فجاءت من ابدع شيء . ثم جلس السلطان في ليلة الجمعة حادي عشر شعبان – وهي ليلة العرس — على باب القصر واشعلت تلك الشموع بأسرها وجلس ابنه الأمير آنوك تجاهه واقبل الأمراء جميعاً وكل

امير يحمل بنفسه شمعة وخلفه مماليكه تحمل الشمع فتقدموا على قدر رتبهم وقبلوا الأرض واحداً بعد واحد طول ليلهم حتى اذا كان آخر الليل نهض السلطان وعبر الى حيث مجتمع النساء فقامت نساء الأمراء بأسرهن وقبلن الأرض واحدة بعد أخرى وهي تقدم ما أحضرت من التحف الفاخرة والنقوط حتى انقضت تقادمهن جميعاً ورسم السلطان برقصهن عن آخرهن فرقصن واحدة بعد واحدة والمغاني يضربن بدفوفهن وانواع المال من الذهب والفضة وشقق الحرير يلقى على المغنيات فحصل لهن ما يجل وصفه ثم زفت العروس . وجلس السلطان من بكرة الغد وخلع على جميع الأمراء وارباب الوظائف ورسم لامرأة كل أمير من الأمراء بتعبية قماش على قدر منزلة زوجها وخلع على الأمير تنكز نائب الشام وجهز صحبته الخلع لأمراء الشام فكان هذا العرس من الأعراس المذكورة ذبح فيه من الغنم والبقر والخيل والأوز والدجاج ما يزيد على عشرين الفاً وعمل فيه من السكر برسم الحلوى والمشروب ثمانية عشر الف قنطار وبلغت قيمة ما حمله الأمير بكتمر الساقي مع ابنته من الشورة الف الف دينار مصرية » .

مثال من استعباد المماليك للأحرار ومن الاسراف الذي اشتهرت به اكثر دول الاسلام تتألف منه رواية تشبه بعض فصول « الف ليلة وليلة » ومع ما رأينا من تسامح الناصر في رقص نساء الأمراء في حضرته واكرام المغنيات اذ كان في ذلك حظ نفسه عاد وضيق على المغنيات قال المؤرخ (ص ٤٩١) وفيها طلبت النساء المغاني وصودرن ما بين ثلاثة آلاف درهم والفي درهم الواحدة وسجن بالحجرة اياماً حتى تاب بعضهن عن الغناء وتزوج بقيتهن وسبب ذلك ان الأمير آنوك بن السلطان كان يركب الى جهة بركة الحبش وعمر له بها حوشاً لطيوره وموضعاً يتنزه فيه واحضر اليه مغنية تعرف بالزهرة فشغف بها حتى بلغ السلطان ذلك وأمر السلطان للأمير آقبغا عبد الواحد ان يلزم شاد المغاني والضامنة بالانكار على المغاني حضورهن مجالس الخمر والزامهن بمال يقمن به عقوبة لهن على ذلك واكد

عليه في ان يكون ذلك من غير ان ينسب الى السلطان انه امر به رعاية لآنوك .
فلما وقع ذلك شق على آنوك امتناع الزهرة عنه عدة أيام وما زال حتى أتته سراً
وفي بها عن زوجته ابنة الأمير بكتمر الساقي حتى علمت أمه بذلك فلشفقتها عليه
ترخصت له وأمكنته من هواه فخاف آنوك من السلطان ودبر هو وبعض مماليكه
حيلة شغل بال السلطان عنه وكتب ورقة يخيله فيها من الأمير بشتاك والأمير
آقبغا وألقيت الى السلطان فنمّ بعض مماليكه للأمير آقبغا بذلك فبلغه السلطان
فدخل الى الدور واستدعى آنوك وهمّ بقتله بالسيف فمنعته أمه وجواريه فأرعد آنوك
من الخوف ولزم الفراش وتغير السلطان على لالاه ارغون العلائي وأقام طيبغا المجدي
عوضه ورسم ببيع الدار التي عمرها آنوك ببركة الحبش » .

وبينا كانت مصر تشتغل بهذه السخافات كانت دمشق مشتغلة بمصيبة أتت
على بعض ثروتها خلاصتها انه وقع حريق بقيسارية القواسين والكفتيين وسوق الخيل
من دمشق (ص ٤٩٥) دام يومين بلياليها فعدم فيها نحو خمسة وثلاثين الف قوس
وعدمت الناس اموالاً عظيمة منها للتجار خاصة ما مبلغه الف الف وستمائة الف دينار
وخربت أماكن كثيرة فوقعت التهمة على بعض كتاب النصارى فأحضرهم الأمير
تنكز وأقروا ان راهبين قدما من القسطنطينية ليجاهدا في الملة الاسلامية ومعابدها
وقد باعا نفسيهما على ذلك وانهما يعلمان صناعة النفط واشتريا قماشاً ودسا فيه كعكات
النفط فالتهمت النيران ثم سُمّر الجماعة وعددهم احد عشر رجلاً فكتب السلطان
الى تنكز ينكر عليه قتل النصارى وان في ذلك اغراء لأهل القسطنطينية بمن
يرد اليهم من التجار المسلمين وقتلهم وامره بحمل ما وجد من المال وان يجهز بناته
اللاتي عُقد لأولاد السلطان عليهن فأجاب تنكز بالاعتذار عن تجهيز بناته بما شغله
من عمارة ما أحرق وان المال الذي وجد للنصارى قد جعله لعمارة الجامع فلم يرض
السلطان .

محمد كرد علي

النجوم الزاهرة

في ملوك مصر والقاهرة

تأليف جمال الدين ابي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي

الجزء التاسع طبع مطبعة دار الكتب المصرية (١٣٦١ه - ١٩٦٢م) ص ٤٢١

صدر هذا الجزء وهو لا يقل عن الأجزاء الأولى تحقيقاً وعناية وقد لاحظنا بعض هنات وقعت في بعض الأعلام منها (ص ٥٥ و ١٥٦) بستان السفلاطوني — السقلاطوني بالقاف . الضيعة المعروفة بزرنية — الأرجح انها بزينة . بيدر تيدبن — زبدين . بعيون الفارمنا — الفامريا . العديل — العدمل . ووقعت تحريفات أخرى في بعض اسماء القرى يجب الرجوع في تصحيحها الى العارفين بها من سكان المدن المجاورة لها .

انتهى هذا الجزء بحوادث سنة ٧٤١ وفيه حوادث ولاية الناصر محمد بن قلاوون الثالثة ومما قال فيه ابن تغري بردي انه أطول ملوك الترك مدة في السلطنة فان اول سلطنته من سنة ثلاث وتسعين وستمائة الى ان مات نحواً من ثمان واربعين سنة بما فيه أيام خلعه ولم يقع ذلك لأحد من ملوك الترك بالديار المصرية فهو أطول الملوك زماناً وأعظمهم مهابة واغزرهم عقلاً وأحسنهم سياسة واكثرهم دهاء واجودهم تدبيراً وأقواهم بطشاً وشجاعة وأحذقهم تنفيذاً مرت به التجارب وقاسى الخطوب وباشر الحروب وتقلب مع الدهر ألواناً نشأ في الملك والسعادة وله في ذلك الفخر والسيادة خليقاً للممالك والسلطنة فهو سلطان وابن سلطان ووالد ثمانية سلاطين من صلبه والملك في ذريته واحفاده وعقبه ومماليكه ومماليك مماليكه الى يومنا هذا بل الى ان تنقرض الدولة التركية فهو أجل ملوك الترك وأعظمها بلا مدافعة ومن ولي السلطنة من بعده بالنسبة اليه كآحاد اعيان امرائه . وكان متجملاً يقتني من كل شيء أحسنه اكثر في سلطنته من شراء المماليك والجواري وطلب التجار وبذل لهم الأموال ووصف لهم حلى المماليك والجواري وسيرهم الى بلاد أزبك

خان وبلاد الجاركس والروم وكان التاجر اذا أتاه بالجلبة من المماليك بذل له أعلى القيم فيهم فكان يأخذهم ويحسن تربيتهم وينعم عليهم بالملابس الفاخرة والحوائص الذهب والخيول والعطايا حتى يدهشهم فأكثر التجار من جلب المماليك وشاع في الأقطار احسان السلطان اليهم فأعطى المُغْل أولادهم وأقاربهم للتجار رغبة في السعادة فبلغ ثمن المملوك على التاجر اربعين الف درهم . وهذا المبلغ جملة كبيرة بحساب يومنا هذا . وكان الناصر يدفع للتاجر في المملوك الواحد مائة الف درهم وما دونها اه .

م . ك

النظرية العامة للالتزامات (الجزء الأول)

نظرية العقد

تأليف الدكتور عبد الرزاق أحمد السنهوري

الدكتور السنهوري (وزير معارف مصر اليوم) علم من أعلام الفقه والقانون في مصر بل في البلاد العربية عامةً . فاذا كانت مصر عرفته محامياً وأستاذاً ومؤلفاً ، ثم وكيلاً للوزارة فوزيراً ، فلقد عرفته الشام والعراق أستاذاً أيضاً وفقيهاً ، وخبرنا فيه العالم كل العالم في تواضعه وإبائه .

وكتابه هذا (نظرية العقد) شرح للقانون المدني المصري يقع في الف صفحة وهو جزء من أربعة أجزاء عالج فيه : تعريف الالتزام في القانون المصري ، وترتيب مصادره ، وتعريف العقد وما ينطوي تحته من معاملات ؛ في اسهاب ودقة ووضوح .

وليست تتسع صفحات هذه المجلة للافاضة في وصف هذا الكتاب ، وبيان محاسنه . فحسبنا ان نشير الى بعض ماجاء في المقدمة ليعرف القراء أن التأليف الحق الذي تستفيد منه الأمم والشعوب لا يكون بالنقل نقلاً أصم متابعةً لما قاله الأقدمون ، ولا بالترجمة ترجمةً حرفيةً لما وضعه الغربيون ؛ ولكنه يقوم بالفهم والتدبر والمقابلة والمفاضلة . وهذا ما جرى عليه الأستاذ السنهوري في تأليفه بعد أن وطأ له في مقدمته بقوله :

« وبعد فان مصر من الفقه القانوني لا تزال في أول مراحله ، لست أنكر ما قام به أساتذتي وزملائي من جهود جليلة فتحت الباب لمن أتى بعدهم بترسّم خطاهم ، إلا اننا اصبحنا بحمد الله أمة طموحاً ، تبغي الدنوّ أبداً من الكمال ولا تزال المرحلة التي قطعناها على ما فيها من جهود ومشقة ، صغيرة الى جنب المراحل التى بقي علينا ان نجتازها ، واذا كنا قد وفقنا الى تأدية الفقه الحديث في لغة عربية صحيحة ، غير مضطربة ولا سقيمة ، فقد بقي أمامنا خطوتان أخريان أجل شأناً وأكبر خطراً »

« علينا أولاً أن نمصّر الفقه فنجعله فقهاً مصرياً خالصاً نرى فيه طابع قوميتنا ، ونحس أثر عقليتنا ، ففقهنا حتى اليوم لا يزال هو أيضاً يحتله الأجنبي ، والاحتلال هنا احتلال فرنسي ، وهو احتلال ليس بأخف وطأة ولا بأقل عنتاً من أي احتلال آخر »

الى ان يقول :

« فلم أكتف في مسائل كثيرة باستعراض النظريات الفرنسية واللاتينية ، بل جاوزتها الى النظريات الجرمانية والانكليزية وحاولت أن أستخلص من مجموع ذلك نواحي من النظر تكون اكثر انسجاماً مع تقاليدنا المصرية »

« ثم اني لم اغفل الى جانب ذلك الشريعة الاسلامية ، شريعة الشرق ، ووحي الهامه ، وعصارة اذهان مفكريه ، نبتت في صحرائه ، وترعرعت في سهوله ووديانه ، فهي قبس من روح الشرق ، ومشكاة من نور الاسلام . يلتقي عندهـا الشرق والاسلام فيضيء ذلك بنور هذا ، ويسري في هذا روح ذلك حتى ليمتزجان ويصيران شيئاً واحداً . هذه هي الشريعة الاسلامية لو وطئت أكنافها وعبدت سبلها ، لكان من هذا التراث الجليل ، ما ينفخ روح الاستقلال في فقهنا وفي قضائنا وفي تشريعنا ، ثم لأشرفنا نطالع العالم بهذا النور الجديد فنضيء به جوانب الثقافة العالمية في القانون » .

عارف النكدي

الموجز

في

النظرية العامة للالتزامات

في القانون المدني المصري

وهذا مؤلف آخر للعلامة السنهوري أوجز فيه الموضوعات التي عالجها في كتابه السابق الذي أشرنا اليه .

تناول الأستاذ في موجزه هذا : التعريف بالالتزام ومصادره ، وأوصافه وما يتفرع عنه . والعقد وأركانه واحكامه وشروطه وأقسامه وما يتصل به . وهو كتاب يقع في نحو من ثماني مئة صفحة ، عامر بمختلف النظريات القديمة والحديثة ، مع الموازنة والمقارنة والمناقشة .

وكل هذه الأبحاث من الأمور الهامة التي تشتد حاجة المشتغلين بالقضاء اليها ، والتي يجب على كل من عاني القانون : قاضياً أو محامياً ، أن يطلع عليها ويتدارسها ليكون لنفسه فكرة علمية واسعة تخرجه من الدائرة المحدودة التي لا تزال الى اليوم تنكمش في زواياها .

وليس من شك في ان هذه الكتب التي يضعها الدكتور السنهوري ، ستكون من الأسس الوطيدة في توحيد القوانين والشرائع في البلاد العربية ، والمصباح المنير يستضيء به العاملون في ميدان الاشتراع والقضاء .

فللوزير المؤلف الفضل في ما يعانيه من هذه الموضوعات العلمية القيمة ، وعلى الأقطار العربية شكره لما يخرج لها من المؤلفات التي تفتقر اليها المكتبة القضائية العربية .

ع . ن

أبو العلاء في بغداد

طه الراوي

هذه محاضرة حاضر بها صاحبها في قاعة الملك فيصل الثاني في بغداد ، تتضمن فصلاً من فصول حياة أبي العلاء ، وهو فصل رحلته الى مدينة السلام .

افتتح الأستاد طه الراوي محاضرته بالكلام على نسب ابي العلاء ونشأته وثقافته وصفاته العقلية ، مثل قوة حافظته وحضور ذهنه ، ثم خاض في الحديث عن رحلته الى بغداد واقامته بها تسعة عشر شهراً ، فقد سافر اليها وهو ابن ست وثلاثين سنة .

وصف المحاضر حالة بغداد السياسية في تلك الأيام مستعيناً على وصف هذه الحالة المؤلمة بأبيات من شعر المعري والمتنبي والسري الرفاء ، ثم وصف حالتها العلمية ، وبعد هذا فصّل أيام ابي العلاء في بغداد ، فبيّن كيف كان يقضيها بين زيارة دور الكتب وحضور مجالس المناظرة والعلم والأدب والحكمة والتدريس وزيارة الأصدقاء وتكلم على الذي أعجب ابا العلاء في بغداد مثل علمها وفصاحة أهلها ومائها .

فارق أبو العلاء مدينة السلام لمرض أمه فودّعه المحاضر ثم صحبه الى وطنه المعرّة ، حيث دخل المعري بيته وسمى نفسه : رهين المحبسين ، يريد بذلك ذهاب بصره وملازمة بيته .

أشار المحاضر الى ما أبقته زيارة بغداد في نفس المعري والى ما استفاده الشعر من هذه الرحلة والى ما نقّح به ابو العلاء فلسفته من الآراء الحديثة التي وقف عليها ببغداد حتى نضجت واستوت والمحاضر يرى ان هذه الرحلة هي التي أوحت الى ابي العلاء عزلته لأنه رأى بغداد ورأى البذخ فيها وليس له سبيل الى عيشة مثل عيشتها فترهب وجعل منزله صومعته .

والخلاصة ان محاضرة الأستاذ طه الراوي واضحة بحيث يشهد القارئ بنفسه طوراً من أطوار حياة أبي العلاء ، فيرى رحلته الى بغداد ورجوعه الى المعرة والآثار التي تركتها هذه الرحلة .

شفيق جبري

الروائع لشعراء الجيل

محمد فهمي

هذه قصائد لشباب من شعراء مصر توفاهم الله كالهمشري وأبي القاسم الشابي ، جمعها الأستاذ محمد فهمي وصدّرها ببعض كلمات في الشعر والأدب .

تشتمل هذه القصائد على نوع من الشعر يقتضيه روح العصر فلا مديح ولا رثاء ولا غير ذلك من مذاهب شعرنا القديم ، فأكثر هذا الشعر موضوعه الطبيعة كالنارنجة الذابلة وحدائق الشفق وأغنية النخيل واليمامة والصباح الجديد ...

لا ريب في ان الشعر العربي أخذ ينطلق من قيود قديمة في موضوعاته ، فقد دخله ضرب من الخيال لا عهد له به ، وألف طائفة من الصور لم يألفها في القديم ، وليس في هذا شيء من الحرج ، واذا كانت اللغة لم تأنس بعدُ بهذا الشكل من الخيال والصور فلا شك في أن الأيام ستصقلها حتى يأتي عصر يستطيع فيه الشعراء ان يناسبوا بين اللغة وبين الصور الحديثة في الشعر ، فلا تزال اللغة في الشعر المصري بعيدةً عن مألوفها ، فقد يقع التنافر في اضافة لفظةٍ الى لفظةٍ لا صلة بينهما أو في وضع لفظة في غير مواضعها ، والأيام كما قلت ستتولى إقرار كل شيء في نصابه .

انما الذي يُستغرب ان كثيراً من شعراء العصر وأدبائه أخذوا يطلقون على شعر فيه رثاء لعظيم من العظماء أو احياء لذكرى هذه الصفة : شعر المناسبات ، وهم يريدون بذلك الغض من هذا الشعر ، وقد فاتهم ان الشعر في اي عصر كان لا يعيبه انه رثاء أو مديح أو إحياء ذكرى وانما الذي يعيبه خلوّه من الروح الشعرية ومن ادوات الشعر كالخيال والحس والذوق والفكر وما شابه ذلك ، فالرثاء اذا تكاملت فيه هذه الأدوات فهو شعر ، وكذلك مذاهب الشعر بأجمعها ، كما ان شعر الطبيعة مثلاً اذا خلا من الروح الشعرية ومن الفن الشعري فهو ليس من الشعر في شيء ، وأغرب ما سمعته انهم لا يعدون الرثاء إلاّ اذا رثى الشاعر ابنه فكأنهم لا يعرفون ما هي العاطفة ، كأنهم لا يعرفون ان الشاعر تدفعه العاطفة الى رثاء ابنه كما تدفعه الى رثاء صديق أو عظيم ، فالرثاء اذا اشتمل على صور صادقة صوّرت بلغة شعرية فهو شعر مهما تختلف العصور .

ومنهم من يظن ان اقحام الشعر في وصف كوخٍ أو غرفة أو هرة أو عباءة انمــا هو الشعر المناسب لروح العصر ، فكأنهم لم يقرأوا يتيمة الدهر للثعالبي ، ولم يطلعوا على أمثال هذه الموضوعات فيها ، فما ترك شعراء اليتيمة شيئاً تقع عليه حواسهم دون وصفٍ ، لم يتركوا الشمعة ولا الكانون ولا المطبخ ولا غير ذلك ، فماذا فعل الدهر بهم وبشعرهم ، لقد ذهبوا بين سمع الأرض وبصرها ولم يخلد من شعراء يتيمة الدهر الا المتنبي وأبو فراس والشريف الرضي ومن هم على مقربةٍ من هذه الطبقة ، فالموضوعات اذا لم يكن فيها روح شعرية أو لغة شعرية لا تلبث أن تذهب وأصحابها جفاء .

ش . ج

أفلاطون

تأليف عبد الرحمن بدوي

أظن انه ليس من السهل أن يلخص الكاتب في صفحة أو صفحتين كتاباً مثل كتاب : أفلاطون ، يشتمل على ذكر خصائص الفلسفة اليونانية في العصر الثاني وعلى النواحي الكثيرة من نواحي سقراط أستاذ أفلاطون ، كنواحي حياته وخلقه ومنهجه الفلسفي وبحثه عن الأخلاق وغير ذلك أو يتضمن الكلام على تفاصيل حياة افلاطون ومؤلفاته ومشاكله الأفلاطونية وأساس فلسفته وأشياء ثانية من هذه الموضوعات الدقيقة التي لا يفرغ القاريء من قراءة صفحة من صفحاتها الا تمهد أمامه أفق واسع من التفكير ، فاذا بلغ مثلاً الى الكلام على المدينة الفاضلة واطلع على رأي أفلاطون في السن التي ينبغي للإنسان فيها ان يتعلم الفلسفة حتى يحق له ان يكون حاكماً أدرك وجه الصواب في هذا الرأي وفتح له هذا الكلام باب التفكير فعرف ان السياسة مقرونة بعلم النفس وبمعرفة الأخلاق وهذه المعرفة النفسية انما هي أقوى اساسٍ في بنيان السياسة ومن طالع تاريخ رجال العرب والاسلام وتتبع أساليب سياستهم تحقق عنده ان اكثر عمالهم وامرائهم وخلفائهم

كانوا عالمين بأسرار النفوس ، واقفين على دقائق الأمزجة والطبائع فالسياسة الحكيمة هي التي تتصل بعلم النفس وبمعرفة الأخلاق وعلى قدر اتصال رجال سياسة العرب بهذين العلمين أو على قدر انفصالهم عنهما كان نجاحهم أو اخفاقهم في سياسة الناس .

وخلاصة القول لا يقرأ المرء صفحة من كتاب أفلاطون دون ان توحي إليه هذه الصفحة سعة الفكر والتأمل واذا كنت لا أستطيع أن أجمل الكلام على خصائص مباحث الأستاذ عبد الرحمن بدوي في كتابه : أفلاطون ، فاني أستطيع ان أقول دون شيء من التردد ان المؤلف هضم موضوعه - اذا جاز لي هذا التعبير - الهضم كله ، حتى امتثله أتمّ امتثال فلا تجد غموضاً في فهمه لروح الفلسفة ، ولا تجد غموضاً في تفهيمه لهذه الروح ، وما كل باحث في الفلسفة يستطيع أن يفهمها أو ان يفهّمها غيره على هذا الوجه الواضح .

ش . ج

ما وراء الطبيعة

حافظ الجمالي

من سلاسل كتب اليقظة كتاب : ما وراء الطبيعة ، للأستاذ حافظ الجمالي .

صدّر المؤلف كتابه بمقدمة للدكتور جميل صليبا ، بين فيها ان العلم العقلي أو علم ما بعد الطبيعة ممكن الوجود والدليل على امكانه وجوده بالعقل وان النظر في هذا العلم واجب ، وجاء في خاتمة المقدمة حض على التزود من الثقافة الفلسفية الصحيحة التي تعين على ايجاد فلسفة ملائمة لتأريخنا وحاجاتنا في الحاضر والآتي فإن ازدهار الفلسفة في أمة من الأمم دليل قاطع على قوتها ونشاطها وحياتها .

اما المواد التي اشتمل عليها الكتاب فهي : الفلسفة العامة وقيمة المعرفة وفكرة الحقيقة والزمان والمكان والمادة والحياة والروح والله .

وقد خطر ببالي خاطر وأنا أطالع هذا الكتاب وهو اننا اذا احببنا ان يكون للفلسفة في الأمة الأثر الذي أشار اليه الدكتور جميل صليبا في المقدمة وجب علينا ان نفرغها في قوالب تقربها من الأذهان عامة ، كما يفعل ذلك بعض كتاب الغرب في مباحثهم العلمية ، فقد استطاعوا نظراً الى قوتهم الأدبية ان يجعلوا من العلوم موضوعاً يكاد يكون شعراً ، يقرأه الانسان فيلذه ويهضمه ويتمثله فالأدب وحده هو القادر على نشر الفلسفة والعلم ، والمترجم الذي يترجم آثار هذين البابين قد يجوز أن يفهم موضوعه ولكنه اذا تمكن من الأدب استطاع ان يكون تأثيره أبلغ .

ش . ج

تأريخ ما قبل التأريخ

عبد الله حسين

موضوع هذا الكتاب العصور البعيدة التي سبقت الحضارات التأريخية القديمة وقد ابتدأ المؤلف بالكلام على الكون وظهور الحياة على الكرة الأرضية والتقلبات الطبيعية ونشوء الانسان وغرائزه وانتاجه المادي والعقلي .

من هذه المباحث يتبين للقارئ اتساع افق الموضوع الذي أمضى المؤلف القول فيه ، انها لمباحث مديدة لا يمكن تلخيصها في سطور ولا في صفحات ، فهي من جهة تدل على سعة اطلاع المؤلف ، فلا شك في انه رجع الى مصادر شتى حتى استطاع الظفر بها ، وهي من جهة ثانية مختصرة جداً لأن كل فصل من فصول الكتاب يكاد يكون موضوع كتاب بأجمعه ، ولكن القارئ على الرغم من اختصارها يخرج منها بعلوم وافر في موضوعات واسعة .

وفي آخر الكتاب ترجمة للمؤلف تدل على سعة فضله .

ش . ج

الفينيقيون وركاز الذهب واكتشاف اميركة

تأليف عبد الله يوسف النحاس

ليس هذا الكتاب من التواريخ التي تشتمل على مقدمات ونتائج ومحاكمات . انما هو عبارة عن مقالات نشرها المؤلف في جريدة : البصير ، ثم رأى ان يجمعها في كتاب ، وقد تحتوي هذه المقالات على أمور لا بأس بها مأخوذة عن مصادر شتى ، ففيها مباحث عن الذهب ومعادنه زمن الفينيقيين ، وعن الملاحين الذين بحثوا عنه في القرن الخامس عشر وفيها اشارة الى مخترعات الفينيقيين وفي مقدمتها الحروف .

ش . ج

ذكرى الأفغاني في العراق

اسم كتاب لطيف الحجم حسن التنسيق . وضعه الأستاذ المحامي عبد المحسن القصاب افتتحه بخلاصة من ترجمة السيد جمال الدين الأفغاني الذي يغنينا ذكر اسمه عن الافاضة في تحليته وإضفاء الألقاب والأوصاف عليه . ثم سرد ما كان من احتفال العراقيين برفاته اثناء نقله من الأستانة الى بلاد الأفغان ومروره بالعراق والخطب والقصائد التي ألقيت في كل مكان مرّ به ذلك الرفات معددة مناقبه وجميل أخلاقه وفضله على الشرق الإسلامي إذ كان أجرأ العاملين في نهضته والصارخين في إيقاظه من رقدته . ونقل الرفات كان بواسطة سكة الحديد الى بغداد ثم بالطيارة الى البصرة فبلاد الأفغان . وقد زين الكتاب بعدة رسوم تمثل السيد الأفغاني على أزياء مختلفة أفغانياً وإيرانياً وعربياً . وتركياً عالماً وتركياً افندياً . ورسوم أخرى تمثل مشاهد نعشه وهو ينقل من مكان في العراق الى مكان على أعناق الرجال تارة وفي السيارات تارةً أخرى ولفت نظري بأشد ما يمكن عبارة من أقوال جمال الدين ذكرها اثنان من الخطباء الدكتور خالد الهاشمي والأستاذ عبد الجبار العبيدي وهي قوله :

(لقد جمعت ما تفرق من الفكر ولممت شعث التصور ونظرت الى الشرق وأهله فاستوقفتني الأفغان وهي أول ارض مس جسمي ترابها ثم الهند وفيها تثقف عقلي فإيران بحكم الجوار والروابط فجزيرة العرب من حجاز وهو مهبط الوحي ومن يمن وتبابعتها ونجد والعراق وبغداد وهارونها ومأمونها والشام ودهاة الأمويين فيها والأندلس وحمرائها وهكذا كل صقع ودولة من دول الإسلام وما آل اليه أمرهم في الشرق والغرب فخصصت جهاز دفاعي بتشخيص دائه ، وتحري دوائه فوجدت أقتل داء انقسام أهله وتشتت آرائهم واختلافهم على الاتحاد واتحادهم على الاختلاف فعملت على توحيد كلمتهم وتنبيههم للخطر الغربي المحدق بهم اه وفي هذا القول مواضع للعبر وخاصة قوله (ايران بحكم الجوار والروابط) فهو يدل بهذا على انه لا علاقة تربطه بإيران إلا مجاورتها لبلاده والا روابط الدين والتاريخ مع ان هناك قوماً يزعمون أنه ايراني . وكان من المنتظر ان يقول احد خطباء العراق كلمة تدل على رأي العراقيين القاطع في نسبة السيد فلم يقولوها صراحة بطريق النص عليها وانما قالوها عرضاً بطريق وصف نشأة جمال الدين : فقال الشيخ جلال الحنفي (انه رجل من الأفغان ومفخرة من مفاخره) وقال الأستاذ احمد زكي الخياط (انه من نتاج الشعب الأفغاني النجيب) وقال عبد الجبار العبيدي (كان أهل بيته سادة على عمالة من أعمال الافغان) وقال الأستاذ خالد الدرة (مر جثمانه بالعراق حتى يستقر في مهبطه الأصلي بلاده العزيزة الأفغان ... فهو مفخرة شعبها) والذي حملني على الاهتمام بأمر نسبة السيد المستفادة من هذا الكتاب . اني كنت نشرت مقالاً في الصحف المصريه سنة ١٩٠٩ م شرحت فيه أمر الخلاف بشأن نسبة جمال الدين وقد ارتحت الى القول بأن أبا جمال الدين كان ضابطاً ايرانياً أرسلته حكومة بلاده الي الأفغان لبعض الشؤون فتزوج افغانية وولدت له جمال الدين فنشأ أفغانياً . ومقالي المذكور مدرج في كتابي (البينات) جزء ١ ص ١٥٠ .

هذا ونرجع الى كتاب (ذكرى الأفغاني) فإن مؤلفه بعد أن أنهى الكلام على نقل رفات السيد جمال الدين الأفغاني ختمه بفوائد تتعلق بالمملكتين العراق والأفغان :

معاهدة الصداقة بينهما وميثاق سعد آباد . ونتف من أخبار العراق الجغرافية والتاريخية والادارية ونتف مثلها من أخبار الأفغان . وهكذا ختم الكتاب في مئة وست وستين صفحة . فالشكر لمؤلفه الفاضل على خدمته هذه لأكبر خادم للمسلمين في أزمنتهم المتأخرة .

المغربي

الإسلام والمرأة

{تصنيف الأستاذ سعيد الأفغاني . طبع في مطبعة الترقي بدمشق . سنة ١٩٤٥ م في ١٠٩ صفحات .}

أودع المؤلف كتابه أحسن ما يقال في المرأة وأحسن ما ينبغي لكل رجل ان يعرفه عن المرأة سواء أكان ذلك عن حالتها في الجاهلية أو في الاسلام مذ أنالها حقوقاً لم تكن لها في الجاهلية : بنتاً وزوجاً وأماً . هذا موضوع ما تضمنه الباب الأول من الكتاب . أما الباب الثاني فقد خص الكلام فيه بأمهات المؤمنين والتشريع المتعلق بهن وبمنزلتهن الاجتماعية . وقد استشهد المؤلف على ما كان يورده بالنصوص والأحاديث مع بيان تخريجها ومصادرها . فكتابه من خير المراجع الدينية لمن أراد ان يكتب عن المرأة ومنزلتها في الإسلام وقد فصل القول فيها تفصيلاً : كان في الجاهلية وأد وكان سبي وكان امتهان لإنسانيتها وكان استئثار دونها بمهرها وكان تعدد الزوجات غير محدود . وكان إكراه على البغاء وكان قتل للبنات خشية السبي . وكان حرمان ارث . وكان عضل عن الزواج . وكانت إساءة عشرة لهن . وكان الولد يرث زوجات أبيه — كل ذلك كان ومثله معه في الجاهلية ثم جاء الاسلام فأبطله حملة واحدة وأحل محله الحق والعدل وهكذا نرى المؤلف في كتابه أجاد القول وأحسن فيه التفصيل أحسن الله اليه وأثابه الثواب الجزيل .

المغربي

Damascus : Studies in architecture I , by Ernst Herzfeld . Reprinted from vol . IX of Ars Islamica 1942 .

دمشق : دراسة معمارية (١) لارنست هرسفلد · اعيد طبعها نقلاً عن المجلد التاسع من مجلة الفنون الاسلامية في (٥٣) صفحة و (١٧) لوحاً مصوراً · طبعت في مطبعة جامعة مشيجان ١٩٤٢ ·

مقال نشر باللغة الانكليزية في مجلة الفنون الاسلامية عن بيارستان نور الدين والمدرسة النورية الكبرى ودار الحديث النورية في دمشق · وقد جرده كاتبه رسالةً مستقلة · وتوسع في دراسته باحثاً عن منشأ هذا الطراز الجديد من البناء الذي يتميز عن غيره بقبابه المخروطة والمقرنصة من الداخل والخارج مما شاع استعماله في عهد نور الدين بن زنكي · وقد توفق الأستاذ هرسفلد باستقصائه ومقارنة بعض خصائص هذه الأبنية بأشباهها من الأبنية المعاصرة المعروفة في بلاد الشام والعجم والعراق · وشرح لنا بأدلة وبينات مراحل هذا النوع من البناء وكيف حمله الغزاة معهم من بلاد ما بين النهرين الى بلاد الشام · وجاءت دراسته التاريخية جامعة شاملة · واما وصفه بعض نواحي هذه الأبنية لا سيما البيارستان النوري وتربة بني المقدم · فتبدو اليوم ناقصة ولا تتفق مع حالتيها الحاضرة بعد ان رممتها في السنوات الأخيرة مصلحة الآثار القديمة · ونظمت مصوراتها وكشفت فيها كتابات وزخارف كانت قبل اليوم محجوبة عن الأنظار · ونرجو ان يتاح للأستاذ هرسفلد زيارة دمشق لإعادة النظر في بعض ما كتبه · وقد عثرت على بعض أخطاء بسيطة يحسن التنبيه اليها وهي :

في الصفحة (٣) لا للجاهد فيه وصوابه لا للخلود فيه · والزاهد نور الدين وصوابه الزاهد المجاهد نور الدين وفي الصفحة (٣٩) طاب ترابه وصوابه طاب ثراه · وجزيل توابه وصوابه وجزيل ثوابه · وجدت هذه الأغلاط أيضاً في الترجمة الانكليزية ·

جعفر الحسني

Damascus : Studies in architecture — II . by Ernest Herzfeld . Reprinted from vol . X of Ars Islamica 1943 .

دمشق : دراسة معمارية (٢) لارنست هرسفلد نقلاً عن المجلد العاشر من مجلة الفنون الاسلامية . في (٥٨) صفحة و (٢٧) لوحاً مصوراً ١٩٤٣ .

هذا البحث هو تابع لما نشره في عدد مجلة الفنون الاسلامية السابق عن الأبنية الاسلامية في عهد نور الدين في دمشق وحلب وحماة وما يماثلها من الأبنية في غيرها من الأقطار الاسلامية . وقد بحث أيضاً بإيجاز عن نشأة المدارس في الإسلام وطراز بنائها . وقد اجاد الكاتب في بحثه وعالج موضوعه من جميع نواحيه بدقة ووضوح . ويتجلى للقارئ في كل صفحة من صفحات هذا المقال جهود الكاتب وسعة علمه . فنشكر الأستاذ على صنيعه هذا الذي خدم به علم الآثار الاسلامية خدمة جليلة وهو مفتقر لمثل هذه الأبحاث القيمة التي تبعث لنا صفحة مجيدة من تاريخ الحضارة الاسلامية وازدهارها .

ج . ح

تنقيح محمد سعيد القاسمي الدمشقي لحوادث دمشق اليومية

الواقعة من سنة ١١٥٤ الى سنة ١١٧٦ ه التي جمعها أحمد البديري الحلاق الدمشقي

وصفه : من مخطوطات دار الكتب الظاهرية ، نسخ بقلم محمد بن عبد القادر المجذوب الميداني سنة ١٣٢٣ ه ، يقع في ١٠٩ صفحات ، بأبعاد ٢١ × ١٦ سنتيمتراً ، حاله حسنة ، خطه مقروء ، ويبلغ عدد أسطر صفحته ٢٧ سطراً .

موضوعه : قال محمد سعيد القاسمي الدمشقي : أما بعد فان حوادث دمشق الشام اليومية التي صدر غالبها في أيام الوزيرين العظيمين سليمان باشا وأسعد باشا ، هما من أعيان وزراء بني العظم العظام ، جمعها الفاضل شهاب الدين أحمد بن بدير البديري الشهير بالحلاق من سنة ١١٥٤ الى سنة ١١٧٦ ه وقد اشتملت على غرائب وعجائب وأهوال ، ولبساطة مؤلفها كتبها بلسان عامي ، ثم ضنّ بزيادات كلمات وأدعية

Damascus : Studies in architecture — II . by Ernest Herzfeld . Reprinted from vol . X of Ars Islamica 1943 .

دمشق : دراسة معمارية (٢) لارنست هرسفلد نقلاً عن المجلد العاشر من مجلة الفنون الاسلامية . في (٥٨) صفحة و (٢٧) لوحاً مصوراً ١٩٤٣ .

هذا البحث هو تابع لما نشره في عدد مجلة الفنون الاسلامية السابق عن الأبنية الاسلامية في عهد نور الدين في دمشق وحلب وحماة وما يماثلها من الأبنية في غيرها من الأقطار الاسلامية . وقد بحث أيضاً بإيجاز عن نشئة المدارس في الإسلام وطراز بنائها . وقد اجاد الكاتب في بحثه وعالج موضوعه من جميع نواحيه بدقة ووضوح . ويتجلى للقارئ في كل صفحة من صفحات هذا المقال جهود الكاتب وسعة علمه . فنشكر الأستاذ على صنيعه هذا الذي خدم به علم الآثار الاسلامية خدمة جليلة وهو مفتقر لمثل هذه الأبحاث القيمة التي تبعث لنا صفحة مجيدة من تاريخ الحضارة الاسلامية وازدهارها .

ج . ح

تنقيح محمد سعيد القاسمي الدمشقي لحوادث دمشق اليومية

الواقعة من سنة ١١٥٤ الى سنة ١١٧٦ ه التي جمعها أحمد البديري الحلاق الدمشقي

وصفه : من مخطوطات دار الكتب الظاهرية ، نسخ بقلم محمد بن عبد القادر المجذوب الميداني سنة ١٣٢٣ ه ، يقع في ١٠٩ صفحات ، بأبعاد ٢١ × ١٦ سنتيمتراً ، حاله حسنة ، خطه مقروء ، ويبلغ عدد أسطر صفحته ٢٧ سطراً .

موضوعه : قال محمد سعيد القاسمي الدمشقي : أما بعد فان حوادث دمشق الشام اليومية التي صدر غالبها في أيام الوزيرين العظيمين سليمان باشا وأسعد باشا ، هما من أعيان وزراء بني العظم العظام ، جمعها الفاضل شهاب الدين أحمد بن بدير البديري الشهير بالحلاق من سنة ١١٥٤ الى سنة ١١٧٦ ه وقد اشتملت على غرائب وعجائب وأهوال ، ولبساطة مؤلفها كتبها بلسان عامي ، ثم ضبب بزيادات كلمات وأدعية

مسجعة يمل سامعها ويسأم قارئها ، فحذفت القشر من هذه الحوادث ، ووضعت اللباب وهذبتها على حسب الاستطاعة بالصواب واليه تعالى المرجع والمآب . اه

ويعثر الباحث في حوادث دمشق اليومية على صور صادقة للحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها ، فتكون خير معين للمؤرخ في تأريخ تلك الحقبة من الزمن ، فيمحص حوادثها ويدرسها درساً علمياً ، ويكشف النقاب عن أشياء كانت في طي الجهل والنسيان .

فمن الحوادث التي ذكرها البديري ، حادثة تدل على انحطاط الحياة العقلية لعوام الشعب الدمشقي وهي : جرى على لسان العامة في سنة ١١٥٤ ه انه سيحدث بدمشق الشام زلازل عظيمة تنهدم بسببها أماكن كثيرة ، ومن الرجال ستنقلب نساء ، وان أنهار الشام تجري طعاماً وتحدثوا في حوادث كثيرة من مثل هذه الخرافات ، وصاروا يتداولونها فيما بينهم .

ومنها حادثة تدل على انتشار البغاء العلني بدمشق ، قال البديري في سنة ١١٥٧ ه كثرت بنات الخطأ ويتبهرجن بالليل والنهار ، فخرج ليلة قاضي الشام بعد العصر الى الصالحية فصادف امرأة من بنات الخطأ اسمها سلون وهي تعربد في الطريق وهي سكرى ومكشوفة الوجه وبيدها سكين فصاح جماعة القاضي عليها « ميلي » عن الطريق هذا القاضي مقبل فضحكت وصاحت وهجمت على القاضي بالسكين فأبعدوها عنه أعوانه ثم جمع القاضي الموالي والمتسلم وذكر لهم ما وقع من هذه فقالوا له هذه من بنات الخطأ واسمها سلون وافتتن بها غالب الناس حتى صار ينسب اليها كل حاجة أو متاع فيقولون هذا المتاع سلوني وهذا الثوب سلوني ، فأخرج المفتي فتوى بقتلها واهدار دمها تسكيناً للفتنة ففتشوا عليها وقتلوها وارسلوا منادياً ينادي في البلد ان كل من رأى بنت الخطأ والهوى فليقتلها ودمها مهدور فسافر منهن وانزوى البقية .

وقال البديري : واتفق في حكم اسعد باشا العظم سنة ١١٦١ ه ان واحدة من بنات الهوى عشقت غلاماً من الأتراك فمرض فنذرت على نفسها ان عوفي من مرضه لتقرأن مولداً عند الشيخ أرسلان وبعد ان عوفي من مرضه فجمعت

شلكات البلد وهن الموسات ومشين في اسواق الشام وهن حاملات الشموع والقناديل والمباخر وهن يغنين ويصفقن بالكفوف ويدققن بالدفوف والناس يتفرجون عليهن وهن مكشوفات الوجوه سادلات الشعور وما يشهد ناكر لهذا المنكر والصالحون يرفعون أصواتهم ويقولون الله أكبر .

وقال البديري : وفي سنة ١١٦٢ ه عملوا ديواناً وأخبروا اسعد باشا العظم بكثرة المنكرات واجتماع بنات الهوى في الأزقة والأسواق وأنهن يمن في الدكاكين والأفران والقهاوي وقالوا : دعنا نعمل لهن طريقاً اما بترحيلهن أو بوضعهن بمكان لا يتجاوزنه أو تتبصر في أمرهن فقال : اني لا افعل شيئاً من هذه الأحوال ثم انفض المجلس ولم يحصل من اجتماعهم فائدة .

ووصف البديري الفرح الذي اقامه لابنه أحمد بك فقال : في غرة ربيع الأول سنة ١١٥٦ ه شرع حضرة والي دمشق سليمان باشا العظم في فرح لأجل ختان ولده العزيز احمد بك وكان في الجنينة التي في محلة العمارة وجمع فيه سائر الملاعب وارباب الغناء واليهود والنصارى واجتمع فيه من الأعيان والأكابر من الأفندية والآغاوات مالا يحصى واطلق الحرية لأجل الملاعب بما شاؤا وكيف شاؤا من رقص وخلاعة وغير ذلك ولا زالوا على هذه الحال سبعة أيام بلياليها وبعد أمر بالزينة فزينت أسواق الشام كلها سبعة أيام بإيقاد الشموع والقناديل زينة ماسمع بمثلها وعمل موكب ركب فيه الأغاوات والشربجية والأكابر والانكشارية وفيه الملاعب الغريبة من تمثيل شجعان العرب وغير ذلك وثاني يوم طهر ولده أحمد بك وأمر من صدقاته ان يطهر أولاد الفقراء وغيرهم ممن أراد فصارت تقبل الناس بأولادهم وكلما طهروا ولداً يعطوه بذلة وذهبين وأنعم على الخاص والعام والفقراء والمساكين بأطعمة وأكسية وغير ذلك ممن لم يفعل أحد ببعض ما فعل ولم نسمع أيضاً بمثل هذا الاكرام والانعام على الخاص والعام فرحمه الله وجازاه احسن الجزاء آمين .

وقال : عمل فتحي افندي الدفتري سنة ١١٥٦ ه فرحاً عظيماً وكان سبعة أيام كل يوم خصه بجماعة فاليوم الأول خصه لحضرة والي الشام سليمان باشا العظم واليوم

الثاني الى الموالي والأمراء واليوم الثالث الى المشايخ والعلماء واليوم الرابع للتجار والمتسببين واليوم الخامس للنصارى واليهود واليوم السادس للفلاحين واليوم السابع للمغاني والمومسات وهن بنات الخطأ والهوى وقد تكرم عليهن كرماً زائداً وأعطاهن الذهب والفضة بلا حساب .

وبجانب هذا الترف وسعة العيش حياة أخرى فيها كثير من شظف العيش وشدته فقد حدث البديري كثيراً عن الغلاء فقال : كانت سنة ١١٥٤ هـ سنة غلاء في الأقوات وغيرها حتى بلغت أوقية السمن بخمس مصاري والخبز الأبيض باثني عشرة مصرية ورطل الكعك بأربع عشرة مصرية والخبز الأسمر رطله بخمس مصاري .

وقال البديري : في يوم السبت ٢٨ جمادى الأولى سنة ١١٥٦ هـ قامت العامة وهجمت على المحكمة وطردوا القاضي ونهبوا الأفران وسبب ذلك أكثره الغلاء والازدحام على الأفران وقلة التفتيش على صاحب القمح والطحان والخزان فتلافى حضرة الوالي سليمان باشا العظم هذا الأمر وأرسل يشدد على الطحانة والخبازة ويتهددهم ويخوفهم لحالاً وجد الخبز وتحسن وكسد بعد ما كان غالب الناس يبيتون بلا خبز فابتهلت الناس بالدعاء لحضرته .

ويظهر من مطالعة هذا المخطوط انه كان لكل حرفة نقيب يشرف على شؤون حرفته فقد ذكر البديري وفيات عدد من النقباء فقال : توفي في السادس والعشرين من ربيع الأول سنة ١١٥٦ هـ نقيب النقباء في دمشق على الحرف والصنايع والطرق الشيخ عبد الرحمن بن محمد الحلاق القادري صاحب الحلقة في الجامع الأموي .

وقال البديري : مات في سنة ١١٦٥ هـ ثلاثة مشايخ حرف في الشام الشيخ عبد القادر شيخ الحلوانية وشيخ الحلاقين الأسطة محمد البوشي وشيخ القواقجية الأسطة محمد .

ويتبين من قراءة هذا المخطوط ان قاضي الشام كان يعمل أحياناً محتسباً قال البديري : كان قاضي الشام رجلاً صالحاً فعمل محتسباً وصار يدور بنفسه على السوق ويعاير الموازين والأرطال والأواقي فالذي يجد أواقيه ناقصة [يأمر بضربه] علقة على رجليه والذي يجد أواقيه تامة يعطيه مصرية من فضة .

ويظهر من مطالعة هذه الحوادث ان الأمراض كانت تجتاح الكبير والصغير على السواء . قال البديري : وبهذه السنة [سنة ١١٦٨ هـ] انتشر مرض الجدري في عموم الناس حتى في الشيوخ والعجائز ومات فيه كثير من الأولاد .

وبالرغم من انحطاط هذا العصر فقد شيد الولاة والحكام عدداً من الأبنية الفخمة وعبدوا بعض الطرق وأصلحوا بعض المساجد . قال البديري : أمر فتحي افندي الدفتري سنة ١١٥٥ هـ بتعمير طريق الصالحية فقلب بلاطه وعمر أرصفته .

وقال البديري : وفي غرة جمادى الأولى سنة ١١٥٦ هـ شرع حضرة سليمان باشا العظم في تعمير وترميم [نهر] القنوات وجعل جميع المصارف من ماله جزاه الله خيراً واشتغل بها من الفعلة مائتا فاعل فأمر بقطع بعض الصخر من طريقها وبتشييد اركانها واصلاح ما فسد منها ورفع جدرانها وبضبطها ضبطاً جيداً وبإصلاح فروض مستحقيها على الوجه الحق وان يأخذ كل ذي حق حقه .

وقال البديري : أخذ الوزير اسعد باشا العظم سنة ١١٦٣ هـ دار معاوية وأخذ ما حولها من الخانات والدور والدكاكين وهدمها وشرع في عمارة دار السرايا المشهورة التي قبلي الجامع الأموي . وجد واجتهد في عمارتها ليلاً ونهاراً وقطع لها من جملة الخشب اثني عشر الف خشبة وذلك ما عدا الذي أرسلها له أكابر البلد والأعيان من الخشب وغيرها ورسم على حمامات البلد ان لا يباع قصرمل لأحد بل يرسل لعمارة السرايا واشتغل بها غالب معلمي البلد ونجاريها وكذلك الدهانين وجلب لها البلاط من غالب بيوت المدينة أين وجد بلاطاً أو رخاماً وغير ذلك مثل عواميد وفسافي [فسيفساء] الخ .... [1]

وقال البديري : وفي سنة ١١٦٧ هـ تمت قيسارة اسعد باشا العظم وقد تم بناؤها بعد سنة وشهرين وقال : بلغني انه صرف عليها في كل يوم الف ومائة قرش .

واما حوادث السياسة والادارة والأمن في هذا العصر فكثيرة نقتصر على ذكر بعضها:

قال البديري : في ٢٢ جمادى الثانية سنة ١١٥٠ هـ عمل حضرة سليمان باشا العظم ديواناً وجمع فيه الأفندية والآغوات وأخرج خطاً شريفاً بالعدل والتفتيش

(١) انظر هذا المخطوط .

على المفسدين في دمشق من الانكشارية وطلب رؤساء الميدان وهم الآغاوات لحضور عنده فأبوا وأرسلوا اليه يسألونه ما يريد فأرسل يطلب منهم ستة عشر رجلاً من الأشقياء ... فأرسلوا يقولون له نحن لا نقدر على القاء القبض عليهم فدونك وإياهم ... فأعطى اسماءهم للدلال وأمره ان ينادي في شوارع الشام ان هؤلاء الستة عشر دمهم مهدور ولا جناح على من قتلهم وغيرهم في أمن وأمان من سليمان باشا ففرحت الناس اجمعين لأنهم كانوا من أعظم المفسدين .

وقال البديري : في سنة ١١٥٥ هـ قتل متسلم دمشق قتله عرب الزبيد وقتلوا من جنده جماعة كثيرة وذلك لما كان هؤلاء العرب عاصيين على الدولة خرج المتسلم المذكور ومعه جماعة من العسكر فساروا حتى وصلوا الى العرب المذكورين ففاجأهم المتسلم بجنوده على حين غفلة بالقتل وغيره وأرادوا أخذ أموالهم ومواشيهم فردوا عليهم رد غيور صبور فقتلوا المتسلم المذكور وجماعة من عسكره ... [وكان اسم هذا المتسلم] ابراهيم وهو مملوك سليمان باشا العظم حاكم الشام وكان مع عدل مولاه له ظلم وعدوان وجرأة على الخاص والعام وكان يأمر بالقبض على كل من رآه بعد العشاء ويأمر بتقييده في الحال بالحديد الى ان يأخذ منه مالاً كثيراً واذا أذنب احد ذنباً ولم يقدر على قبضه يقبض على من يقدر عليه من أهله وقرابته ويلزمه بمال عظيم ... ولا زال بظلمه وعتوه الى أن أخذه الله .

وقال البديري : وفي سنة ١١٦٠ هـ عمل اسعد باشا العظم ديواناً وجمع فيه علماء الشام وأعيانها وقال لهم : انا الليلة مسافر على الدورة فتسلموا البلد ولا تتركوا أحداً يتعدى على أحد : فقالوا له : يا أفندينا نحن أناس منا علماء ومنا فقهاء ومنا مدرسون وصنعتنا مطالعة الكتب وقراءتها . فقال لهم : هذا اقراركم وقد تحققتم بأن وكيف وانتم الأعيان فقالوا : حاشالله انما اعيان الشام القبقول فقال لهم : هذا اقراركم وقد تحققتم بأن الأعيان والمحافظين عليها القبقول فعند ذلك أرسل خلف رؤساء القبقول وسلم البلد لهم وكان ذلك منه دهاء ثم سافر وترك الناس تتقلب في فرش القهر والكدر .

وقد ذكر البديري عدداً من الحوادث الجنائية فقال : في يوم الخميس ٢١ رجب سنة ١١٦١ هـ ضرب مغربي حماته فقتلها وبعد ثلاثة أيام قتل نصرانياً في الشاغور وهذا المغربي بواب مصطفى بك العظم اخي اسعد باشا .

وقال البديري : في ٢١ رمضان سنة ١١٦١ هـ قتل رجل في سوق ساروجا وقبضوا على قاتله .

وفي يوم الاثنين ٢٣ رمضان سنة ١١٦١ هـ وجد رجل مشنوق في قصر السرايا في حارة السياس التي أقيم فيها حمام الملكة وبقي معلقاً الى قبيل العصر ولم يعلم قاتله فأمر الباشا بدفنه وذهب هدراً .

وفي ٢٥ رمضان سنة ١١٦١ هـ وجد قتيل في تربة باب الصغير عند قبر يزيد ولم يعلم قاتله .

وذكر البديري وفيات عدد من رجال السياسة والادارة والدين والصلاح والوجاهة والرياسة فقال : في سابع يوم من رجب سنة ١١٥٦ هـ جاء خبر لدمشق بأن سليمان باشا العظم والي الشام قد مات لحالا قام فتحي افندي دفتردار الشام وختم على دوره وخزائنه وأملاكه وأقام على ذلك حرساً بالليل والنهار وقرر علي آغا المتسلم على حاله وكتب بذلك عرضاً وأرسله للدولة العلية ثم دفنوه في باب الصغير بجوار سيدنا بلال الحبشي ... ثم قال : كان وزيراً عادلاً حليماً صاحب خيرات ومبرات محباً للعلماء وأهل الصلاح وقد أبطل مظالم كثيرة كانت على أهل الشام مثل الشاشية والمشيخة والعرض وهي أموال تفرض على الحرف والصنائع والحارات في الشام مرة أو مرتين في السنة .

وقال توفي في ٢ المحرم سنة ١١٦٢ هـ محدث الديار الشامية بل خاتمة المحدثين من افتخرت به دمشق على سائر الدنيا الشيخ اسماعيل العجلوني المدرس تحت قبة النسر بجامع بني أمية ودفن بتربة الشيخ أرسلان .

وقال : وفي سنة ١١٦٩ هـ توفي مصطفى بك مردم بك وهو من أعيان الشام وذوي البيوتات الذي شهدت أهل الشام بصلاحه لأنه كان يحب الخير ويعمله ولا يقارب الحكام وليس له أذية لأحد ودفن بمدفنهم عند جده لالا مصطفى باشا في أسفل سوق السنانية .

عمر رضا كحالة

آراء وأنباء

ترجمة مفقودة

هذه الترجمة هي ترجمة عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي مؤلف التفسير الكبير العظيم المسمى (اللباب في علم الكتاب) ذكره صاحب الكشف وقال انه في ستة مجلدات وهو تفسير مشهور ولم يذكر تاريخ وفاة مؤلفه وكناه ابا حفص وفي الأحمدية بحلب من هذا التفسير اربعة اجزاء :

(١) تحت رقم ٩٤ وهو من الأول الى قوله تعالى (واذكروا الله في ايام معدودات) قال في آخره جمعه وعلقه لنفسه عمر بن علي بن عادل النعاني منشأ الحنبلي مذهباً حرره عبد الرحيم بن عبد الباسط السلموني الحنفي سنة ٩٦٥

(٢) تحت رقم ٩٦ من تفسير سورة المائدة الى آخر الأعراف ولا تاريخ لكتابته

(٣) تحت رقم ٩٥ أوله سورة النساء وبعض سورة المائدة محرر عليه الجزء الثاني ولا تاريخ لكتابته أيضاً

(٤) تحت رقم ٩٦ أيضاً أوله سورة التغابن الى آخر القرآن قال في آخره كان الفراغ من كتابته سنة ست وسبعين وثمانمائة · وهو ينقل كثيراً عن تفسير القرطبي وأبي حيان المتوفى سنة ٧٤٥ فعلمت انه من أهل القرن الثامن أو التاسع ·

وراجعت الدر المنضد في ذكر اصحاب الامام احمد وهو مخطوط عندي استنسخته عن نسخة في الأحمدية وهو للعلامة الشيخ عبد الرحمن العليمي المتوفى سنة ٩٢٧ اختصره من طبقاته الكبرى المسماة بالمنهج الأحمد كما قال في أوله · وآخر ترجمة فيه ترجمة شيخه محمد بن محمد بن خالد السعدي المصري المتوفى سنة ٩٠٢ فلم أجد فيه شيئاً · وراجعت مختصر طبقات الحنابلة للكمال الغزي المتوفى سنة ١٢١٤ ومختصره لصديقنا الشيخ جميل الشطي المطبوع بدمشق سنة ١٣٣٩ فلم اجد فيه شيئاً ·

وفي رحلتي الى دمشق سنة ١٣٦٢ راجعت المنهج الأوحد الذي هو في مكتبة المجمع العلمي في أربع مجلدات كبار المأخوذ بالمصور الشمسي عن نسخة في خزانة احمد تيمور باشا الذي قال عنه في مقالته نوادر المخطوطات انه اجمع كتاب فيها منه نسخة وحيدة في خزائننا · كذلك لم أر شيئاً ·

وقد وجدت ترجمة عمر بن علي [بن] عادل الحنبلي في السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة للشيخ محمد بن حميد النجدي مفتي الحنابلة بمكة المشرفة قال :

عمر بن علي سراج الدين ابو الحسن بن عادل مؤلف التفسير العديم النظير وله حاشية على المحرر في الفقه لم أجد له ترجمة في الدرر الكامنة ولا في الضوء اللامع وهو من رجال احدهما بلا شك وأظنه ينقل عن أبي حيان في التفسير بقال شيخنا . وروى عنه التقي الفامي المكي بعض روايات . وكذا نور الدين الهيثمي في كتابه مجمع الزوائد وكناه اباحفص اه السحب الوابلة . ولم يذكر سنة وفاته في كشف الظنون ولا في فهرست دار الكتب المصرية وليس له ذكر في تذكرة النوادر لمطبعة دائرة المعارف في حيدر آباد الدكن . ولا في طبقات المفسرين للسيوطي طبعة اوروبا . وهذا يفيد ان مؤلف السحب الوابلة لم يقف له على ترجمة .

وفي الظاهرية بدمشق نسخة من هذا التفسير في ستة مجلدات كبار محررة سنة ١١٦٥ فلم يزد في الأجزاء الستة عن كلمة تفسير ابن عادل ولعله يذكر اسمه فقط في بعض الأجزاء . وفي كتاب الأدب العربي لبروكلمن ذكر ان وفاة المؤلف سنة ٨٨٠ هـ وان نسخة من تفسيره في دار الكتب السلطانية بمصر وأخرى في الاسكوريال . وأخرى في الجزائر .

بحثي هذا علم به شاب نجيب من حلب يقال له الشيخ عبد الفتاح غده نشأ ولوعاً بالبحث عن الكتب مخطوطها ومطبوعها وقد ذهب هذه السنة لمصر لتكميل التحصيل في كلية الشريعة وقد كتب لي من عهد قريب انه اجتمع بالعلامة البحاثة الشيخ زاهد الكوثري فسأله عن ترجمته فقال له انني بحثت عن ترجمته كثيراً وطويلاً فلم أعثر له على ترجمة رغم استقصائي الممكن في البحث ولكني أدلكم على كتاب طبقات المفسرين لمحمد بن علي بن احمد الداودي المالكي (المتوفى سنة ٩٤١ كما في الكشف) وهو في دار الكتب السلطانية قال فراجعتها وهي تحت رقم ١٦٨ فلم أجد شيئاً . واجتمع بالعلامة البحاثة القاضي احمد محمد شاكر في منزله وسأله عن ترجمة هذا الرجل فقال قد مرّ عليّ اسمه او اسم كتاب له وأخذا في الكشف في مكتبته الغنية قال فلم نعثر على شيء سوى ما رأيناه في الفهرس القديمة لدار الكتب السلطانية وذلك في الجزء الأول ص ٩٦ من علم التفسير ونصه اللباب تأليف

عمر بن علي من علماء القرن التاسع كتب في آخر سورة طه أنه فرغ من تفسيرها خامس عشر رمضان سنة ٨٨٠ ثم أفاضت الفهرس افاضة عظيمة في وصف الأجزاء الموجودة في الدار اه وهذا يفيد انه في أواخر القرن التاسع والجزء الذي في الأحمدية الذي أوله سورة التغابن الى آخر القرآن يقول إنه فرغ من كتابته سنة ٨٧٦ فهل ابتدأ بالتفسير من آخر القرآن واذا لم يكن كذلك وشرع فيه من الأول على العادة وانتهى في رمضان من سنة ٨٨٠ الى سورة طه التي هي في نصف القرآن تقريباً فيستبعد ان يتمه في ثلاثة اشهر وتكون وفاته سنة ٨٨٠ كما قال بروكلمن فلا ريب ان وفاته بعد الثمانين وثمانمائة ويكون قول بروكلمن على التقريب لا على التحديد .

هذا ما وصل اليه بحثي وبحث هؤلاء الأفاضل عن ترجمة هذا العالم الكبير مؤلف هذا التفسير العظيم فهل في الحي من يبحث لنا عن هذه الترجمة المفقودة لعله يعثر عليها ويتحفنا بها اذ يستبعد لهذا التفسير الذي وصف بأنه تفسير مشهور وقد رأيت نقولاً عنه في عدة كتب ان يغفل جميع مؤرخي عصره ترجمته وخصوصاً مدوني تراجم مذهبه .

(حلب) **محمد راغب الطباخ**

دار الكتب الوطنية في اللاذقية

عندما تقلد الأمير مصطفى الشهابي أحد أعضاء المجمع العلمي العربي عمل اللاذقية في سنة ١٩٤٣ كان أول ما أتاه إرصاد مائة الف ليرة سورية في ميزانية المحافظة لتشييد بناء يشتمل على غرف للمطالعة وردهة للمحاضرات وأخرى للكتب . وقد تم اليوم هذا البناء الفخم في قلب المدينة ، فجاء على طراز عربي جميل . اي على غرار دار الكتب الوطنية في حلب التي شيدها الأمير عندما كان يتقلد أعمال تلك المحافظة .

وقد وضع في ميزانية السنة الحاضرة ستين الف ليرة سورية لشراء أثاث الدار ومتاعها وجمع لها في بضعة أشهر أربعة آلاف كتاب مما أهداه المجمع العلمي والجامعة السورية وكرام المواطنين ، ومما اشتري بمال تبرع به أهل الإحسان لهذا الغرض الثقافي الجليل وهكذا أصبح في اللاذقية دار للمطالعة يرتادها في كل يوم قرابة مائة مطالع . وحبذا لو جرت سائر المحافظات السورية على هذا المثال في تأسيس دور الكتب .

فهرس الجزء السابع والثامن من المجلد العشرين

الصفحة	العنوان	الكاتب
٢٨٩	القول في حقوق المرأة	للأستاذ محمد كرد علي
٣٠٢	بقايا الفصاح	« شفيق جبري
٣٠٥	العنصر العربي	« عارف النكدي
٣١٠	قنبرة قنبلة	« عبد القادر المغربي
٣١٨	القوقي هو الفوقي	للأب انستاس ماري الكرملي
٣٢٣	الطريقة الرمزية في الفلسفة العربية (٢)	للدكتور جميل صليبا
٣٣١	رسالة الطرق (٩)	الأستاذ محمد سليم الجندي
٣٤٠	دور كتب فلسطين ونفائس مخطوطاتها (٢)	للدكتور اسعد طلس
٣٤٨	تصحيح اغلاط كتاب البخلاء (٤)	« داود الچلبي
	مخطوطات ومطبوعات	
٣٥٨	كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك	للأستاذ محمد كرد علي
٣٦١	النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة	« « «
٣٦٢	النظرية العامة للالتزامات الجزء الأول	« عارف النكدي
٣٦٤	الموجز في النظرية العامة للالتزامات	« « «
٣٦٥	ابو العلاء في بغداد	« شفيق جبري
٣٦٦	الروائع لشعراء الجيل	« « «
٣٦٧	افلاطون	« « «
٣٦٨	ما وراء الطبيعة	« « «
٣٦٩	تأريخ ما قبل التأريخ	« «
٣٧٠	الفينيقيون وركاز الذهب واكتشاف اميركا	« «
٣٧٠	ذكرى الأفغاني في العراق	« عبد القادر المغربي
٣٧٢	الاسلام والمرأة	« « « «
٣٧٣	دمشق : دراسة معمارية (١)	للأمير جعفر الحسني
٣٧٤	دمشق : دراسة معمارية (٢)	« « «
٣٧٤	تنقيح محمد سعيد القاسمي لحوادث دمشق اليومية	للأستاذ عمر رضا كحالة
	آراء وأنباء	
٣٨١	ترجمة مفقودة	للأستاذ محمد راغب الطباخ
٣٨٣	دار الكتب الوطنية في اللاذقية	